

أن الأنصت إذ ذاك أفضل من الذكر باللسان سواء كان سرا أو جهرا فهذا الذي قاله لم يتابعا عليه ، بل المراد الحض على كثرة الذكر من العباد بالقدو والآصال لئلا يكونوا من الغافلين ، ولهذا مدح الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون فقال (إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته) الآية ، وإنما ذكرهم بهذا ليقترى بهم في كثرة طاعتهم وعبادتهم ، ولهذا شرع لنا السجود ههنا لما ذكر سجودهم لله عز وجل كما جاء في الحديث « ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربها يتمون الصفوف الأول فالأول ويتراصون في الصف » وهذه أول سجدة في القرآن بما يشرع لتأليها ومستمعها السجود بالإجماع ، وقد ورد في حديث رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ أنه عدها في سجدات القرآن آخر تفسير سورة الأعراف والله الحمد والمنة

(تفسير سورة الأنفال)

وهي مدنية . آياتها سبعون وست آيات . كلماتها ألف كلمة وستائة كلمة وإحدى وثلاثون كلمة . حروفها خمسة آلاف ومائتان وأربعة وتسعون حرفا والله أعلم .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)

قال البخارى : قال ابن عباس : الأنفال المغنم ، حدثنا محمد بن عبد الرحيم حدثنا سعيد بن سليمان أخبرنا هشيم أخبرنا أبو بشر عن سعيد بن جبير قال قلت لابن عباس رضى الله عنهما سورة الأنفال قال نزلت في بدر . أما ما علقه عن ابن عباس فكذلك رواه على بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال الأنفال المغنم كانت لرسول الله ﷺ خالصة ليس لأحد منها شيء ، وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة وعطاء الخراساني ومقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد أنها المغنم ، وقال الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال : الأنفال المغنم ، قال فيها لبيد :

إن تقوى ربنا خير نفل * ويأذن الله ريثي والعجل

وقال ابن جرير حدثني يونس أخبرنا ابن وهب أخبرني مالك بن أنس عن ابن شهاب عن القاسم بن محمد قال سمعت رجلا يسأل ابن عباس عن الأنفال فقال ابن عباس رضى الله عنهما : الفرس من النفل والسلب من النفل . ثم عاد لسأله فقال ابن عباس ذلك أيضا ثم قال الرجل : الأنفال التي قال الله في كتابه ما هي ؟ قال القاسم فلم يزل يسأله حتى كاد يخرجه فقال ابن عباس أتدرون ما مثل هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب . وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن القاسم بن محمد قال : قال ابن عباس : كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إذا سئل عن شيء قال لا أمرك ولا أنهارك ثم قال ابن عباس والله ما بعث الله نبيه ﷺ إلا زاجرا أمرا محملا محرما . قال القاسم فسلط على ابن عباس رجل فسأله عن الأنفال فقال ابن عباس : كان الرجل ينفل فرس الرجل وسلاحه فأعاد عليه الرجل فقال له مثل ذلك ثم عاد عليه حتى أغضبه فقال ابن عباس : أتدرون ما مثل هذا ؟ مثل صبيغ الذي ضربه عمر بن الخطاب حتى سالت الدماء على عقيه أو على رجله ، فقال الرجل أما أنت فقد انقم الله لعمر منك . وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس أنه فسر النفل بما ينقله الإمام لبعض الأشخاص من سلب أو نحوه بعد قسم أصل المغنم وهو المنبادر إلى فهم كثير من الفقهاء من لفظ النفل والله أعلم .

وقال ابن أبي نجيع عن مجاهد : إنهم سألوا رسول الله ﷺ عن الخمس بعد الأربعة من الأخماس فنزلت (يسألونك عن الأنفال) وقال ابن مسعود ومسروق لا نفل يوم الزحف إنما النفل قبل التقاء الصفوف رراه ابن أبي حاتم عنهما ، وقال ابن المبارك وغير واحد عن عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح في الآية (يسألونك عن الأنفال) قال يسألونك فيما شذ من المشركين إلى المسلمين في غير قتال من دابة أو عبد أو أمة أو متاع فهو نفل للنبي صلى الله

عليه وسلم يصنع به ما يشاء ، وهذا يقتضى أنه فسر الأنفال بالفاء وهو ما أخذ من الكفار من غير قتال . قال ابن جرير وقال آخرون هي أنفال السرايا حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا علي بن صالح بن حبي قال بلغني في قوله تعالى (يسألونك عن الأنفال) قال السرايا ومعنى هذا ما ينقله الإمام لبعض السرايا زيادة على قسمهم مع بقية الجيش . وقد صرح بذلك الشعبي . واختار ابن جرير أنها الزيادة على القسم ويشهد لذلك ما ورد في سبب نزول الآية وهو ما رواه الإمام أحمد حديث قال : حدثنا أبو معاوية حدثنا أبو إسحق الشيباني عن محمد بن عبيد الله الثقفي عن سعد بن أبي وقاص قال : لما كان يوم بدر وقتل أخى عمير قتلت سعيد بن العاص وأخذت سيفه وكان يسمى ذا الكتيفة فأتيت به النبي صلى الله عليه وسلم فقال « اذهب فاطرحه في القبض » قال فرجعت وبى ما لا يعلمه إلا الله من قتل أخى وأخذ سلمي قال فماجاوزت إلا سيرا حتى نزلت سورة الأنفال فقال لي رسول الله ﷺ « اذهب فخذ سلبك »

وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أسود بن عامر أخبرنا أبو بكر عن عاصم بن أبي النجود عن مصعب بن سعد عن سعد بن مالك قال : قلت يا رسول الله قد شفاني الله اليوم من المشركين فهب لي هذا السيف ، فقال « إن هذا السيف لالك ولألى ، ضعه » قال فوضعت ثم رجعت فقلت عسى أن يعطى هذا السيف من لا يبلى بلائى ، قال فإذا رجل يدعوني من ورائي قال قلت قد أنزل الله في شيئا ؟ قال كنت سألتني السيف وليس هو لى وإنه قد وهب لى فهولك قال وأنزل الله هذه الآية (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) ورواه أبو داود والترمذى والنسائى من طرق عن أبي بكر بن عياش به وقال الترمذى حسن صحيح وهكذا رواه أبو داود الطيالسى أخبرنا شعبة أخبرنا سماك بن حرب قال سمعت مصعب بن سعد يحدث عن سعد قال نزلت في أربع آيات أصبت سيفا يوم بدر فأتيت النبي ﷺ فقلت فقلني ، فقال « ضعه من حيث أخذته » مرتين ثم عاودته فقال النبي ﷺ « ضعه من حيث أخذته » فنزلت هذه الآية (يسألونك عن الأنفال) الآية وتام الحديث في نزول (ووصينا الإنسان بالديه حسنا) وقوله تعالى (إنما الحمر والميسر) وآية الوصية وقد رواه مسلم في صحيحه من حديث شعبة به وقال محمد بن إسحق حديث عبد الله بن أبي بكر عن بعض بنى ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة يقول أصبت سيف ابن عائذ يوم بدر وكان السيف يدعى بالمرزبان ، فلما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس أن يردوا ما فى أيديهم من النفل أقبلت به فألقيته فى النفل وكان رسول الله ﷺ لا يمنع شيئا يسأله فراه الأرقم بن أبي الأرقم المخزومى فسأله رسول الله ﷺ فأعطاه إياه ، ورواه ابن جرير من وجه آخر

﴿ سبب آخر فى نزول الآية ﴾

وقال الإمام أحمد حدثنا محمد بن سلمة عن ابن إسحق عن عبد الرحمن بن سليمان بن موسى عن مكحول عن أبي أمامة قال سألت عبادة عن الأنفال فقال فينا أصحاب بدر نزلت حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه أخلاقا فاترعه الله من أيدينا وجعله الى رسول الله ﷺ فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء ، يقول عن سواء . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا أبو معاوية بن عمر أخبرنا أبو إسحق عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عن سليمان بن موسى عن أبي سلامة عن أبي أمامة عن عبادة بن الصامت قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ فشهدت معه بدرا فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو فانطلقت طائفة فى آثارهم يهزمون ويقنانون ، وأقبلت طائفة على العسكر يحوزونه ويجمعونه ، وأحدقت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل وفاء الناس بعضهم الى بعض قال الذين جمعوا الغنائم نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب ، وقال الذين خرجوا فى طلب العدو لستم بأحق به منا نحن منعنا عنه العدو وهزمتنا ، وقال الذين أحدقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم خفنا أن يصيب العدو منه غرة فاشتغلنا به فنزلت (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) فقسما رسول الله ﷺ بين المسلمين وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أغار فى أرض العدو نفل الربع ، فإذا أقبل راجعا نفل الثالث ، وكان يكره الأنفال ، ورواه الترمذى وابن ماجه من حديث سفیان الثوري عن عبد الرحمن بن الحارث به نحوه قال الترمذى هذا حديث صحيح ، ورواه ابن حبان فى صحيحه والحاكم فى

مستدرکه من حديث عبد الرحمن بن الحارث وقال الحاكم صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه وروى أبو داود والنسائي وابن جرير وابن مردويه واللفظه، وابن حبان والحاكم من طرق عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « من صنع كذا وكذا فله كذا وكذا » فتسارع في ذلك شبان القوم وبقى الشيوخ تحت الرايات ، فلما كانت الغائم جاءتوا يطلبون الذي جعل لهم فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فإننا كنا رداء لكم لو انكشفتم لفتنتم الينا . فتنازعوا فأنزل الله تعالى (يسألونك عن الأنفال - إلى قوله - وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين) ، وقال الثوري عن السكبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « من قتل قتيلاً فله كذا وكذا ، ومن آتى بأسير فله كذا وكذا » فجاء أبو اليسر بأسيرين فقال يارسول الله صلى الله عليك أنت وعدتنا فقام سعد بن عبادة فقال يارسول الله : إنك لو أعطيت هؤلاء لم يبق لأصحابك شيء وإنه لم يمنعنا من هذا زهادة في الأجر ، ولا جبن عن العدو ، وإنما قمنا هذا المقام محافظة عليك مخافة أن يأتوك من ورائك ، فتشاجروا ونزل القرآن (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) قال ونزل القرآن (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة) إلى آخر الآية وقال الإمام أبو عبيد الله القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الأموال الشرعية وبيان جهانها ومصارفها : أما الأنفال فهي المعانم وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب ، فكانت الأنفال الأولى لرسول الله ﷺ يقول الله تعالى (يسألونك عن الأنفال قل الأنفال لله والرسول) فقسمها يوم بدر على ما أراه الله من غير أن يخمسها على ما ذكرناه في حديث سعد ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس فنسخت الأولى ، قلت هكذا روى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس سواء ، وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي . وقال ابن زيد ليست منسوخة بل هي محكمة ، قال أبو عبيد وفي ذلك آثار ، والأنفال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة ، ومعنى الأنفال في كلام العرب كل إحسان فعله فاعل تفضلاً من غير أن يجب ذلك عليه ، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم وإنما هو شيء خصهم الله به تطولاً منه عليهم بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم فنفلها الله تعالى هذه الأمة فهذا أصل النفل ، قلت شاهد هذا ما في الصحيحين عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي - فذكر الحديث إلى أن قال - وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي » وتذكر تمام الحديث : ثم قال أبو عبيد ولهذا سمي ما جعل الإمام للمقاتلة نفلاً وهو تفضيله بعض الجيش على بعض بشيء سوى سهامهم يفعل ذلك بهم على قدر الغناء، عن الإسلام والنكاح في العدو ، وفي النفل الذي ينقله الإمام سنن أربع لكل واحدة منهن موضع غير موضع الأخرى (فإحداهن) في النفل لا خمس فيه وذلك السلب (والثانية) النفل الذي يكون من الغنيمة بعد إخراج الخمس وهو أن يوجه الإمام السرايا في أرض الحرب فتأتي بالغنائم فيكون للسرية مما جاءت به الربع أو الثلث بعد الخمس (والثالثة) في النفل من الخمس نفسه وهو أن تحاز الغنيمة كلها ثم تخمس فإذا صار الخمس في يدي الإمام نفل منه على قدر ما يرى (والرابعة) في النفل في جملة الغنيمة قبل أن يخمس منها شيء وهو أن يعطى الأعداء ورعاة الماشية والسواق لها . وفي كل ذلك اختلاف

قال الربيع : قال الشافعي : الأنفال أن لا يخرج من رأس الغنيمة قبل الخمس شيء غير السلب . قال أبو عبيد والوجه الثاني من النفل هو شيء زيدوه غير الذي كان لهم وذلك من خمس النبي صلى الله عليه وسلم فإن له خمس الخمس من كل غنيمة فينبغي للإمام أن يجتهد ، فإذا كثر العدو واشتدت شكوتهم وقل من يزيائهم من المسلمين نقل منه اتباعاً لسنة رسول الله ﷺ وإذا لم يكن ذلك لم ينقل (والوجه الثالث) من النفل إذا بعث الإمام سرية أو جيشاً فقال لهم قبل اللقاء من غنم شيئاً فهو له بعد الخمس فهو لهم على ما شرط الامام لأنهم على ذلك غزوا وبه رضوا انتهى كلامه ، وفيما تقدم من كلامه وهو قوله : إن غنائم بدر لم تخمس نظر ، ويرد عليه حديث علي بن أبي طالب في شارفيه اللذين حصلاه من الخمس يوم بدر وقد بينت ذلك في كتاب السيرة بيانا شافياً والله الحمد والمنة . وقوله تعالى (فاتقوا

الله وأصلحوا ذات بينكم) أى اتقوا الله فى أموركم وأصلحوا فيما بينكم ولا تظلموا ولا تخاصموا ولا تشاجروا فما آتاكم الله من الهدى والعلم خير مما تختصمون بسببه (وأطيعوا الله ورسوله) أى فى قسمه بينكم على ما أراه الله ، فانه إنما يقسمه كما أمره الله من العدل والانصاف وقال ابن عباس هذا تخرج من الله ورسوله أنه يتقوا ويصلحوا ذات بينهم وكذا قال مجاهد ، وقال السدى (فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم) أى لا تستبوا . ولنذكر هنا حديثاً أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن على بن المثنى الموصلى رحمه الله فى مسنده فانه قال : حدثنا مجاهد بن موسى حدثنا عبدالله بن بكير حدثنا عباد بن شيبه الحبطى عن سعيد بن أنس عن أنس رضى الله عنه قال : بينا رسول الله ﷺ جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه فقال عمر ما أضحكك يا رسول الله بأبى أنت وأمى ؟ فقال « رجلان من أمى جثيا بين يدى رب العزة تبارك وتعالى فقال أحدهما : يارب خذلى مظلمتى من أخى . قال الله تعالى أعط أخاك مظلمته قال : يارب لم يبق من حسناتى شيء قال : رب فليحمل عنى من أوزارى » قال : ففاضت عيننا رسول الله ﷺ بالبكاء ثم قال « إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم ، فقال الله تعالى للطلاب ارفع بصرك وانظر فى الجنان فرفع رأسه فقال : يارب أرى مدائن من فضة وقصوراً من ذهب مكللة باللؤلؤ . لأى نبي هذا ؟ لأى صديق هذا ؟ لأى شهيد هذا ؟ قال هذا لمن أعطى ثمنه ؟ قال رب ومن يملك ثمنه ؟ قال أنت تملكه قال ماذا يارب ؟ قال تعفو عن أخيك ، قال يارب فانى قد عفوت عنه ، قال الله تعالى خذ بيد أخيك فادخلا الجنة » ثم قال رسول الله ﷺ « فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، فان الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة »

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيَمِيزُونَ الرِّزْقَ وَيُؤْتُونَ زَكَاةً وَأَسْتَجِيبُوا لِقَوْلِ رَبِّهِمْ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴾

قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى قوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال : المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه . ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون ولا يصلون إذا غابوا ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ثم وصف الله المؤمنين فقال (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فأدوا فرائضه (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) يقول زادتهم تصديقاً (وعلى ربهم يتوكلون) يقول لا يرجون غيره وقال مجاهد (وجلت قلوبهم) فرقت أى فزعت وخافت وكذا قال السدى وغير واحد ، وهذه صفة المؤمن حق المؤمن الذى إذا ذكر الله وجل قلبه أى خاف منه ، ففعل أوامره ، وترك زواجه كقوله تعالى (والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون) وكقوله تعالى (وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى * فان الجنة هى المأوى) ولهذا قال سفيان الثورى سمعت السدى يقول فى قوله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال هو الرجل يريد أن يظلم أو قال يهيم بمعصية فيقال له اتق الله فيجل قلبه وقال الثورى أيضاً عن عبد الله بن عثمان بن خيثم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء فى قوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) قال الوجع فى القلب كاحتراق السعفة أما تجده له شعيرة ؟ قال بلى قالت إذا وجدت ذلك فادع الله عند ذلك فان الدعاء يذهب ذلك ، وقوله (وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً) كقوله (وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيسم زادت هذه إيماناً ؟ فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون) وقد استدلل البخارى وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهاها على زيادة الإيمان وتفاضله فى القلوب كما هو مذهب جمهور الأمة بل قد حكى الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعى وأحمد بن حنبل وأبى عبيد كما بينا ذلك مستقصى فى أول شرح البخارى والله الحمد والمنة (وعلى ربهم يتوكلون)

أى لا يرجون سواء ولا يقصدون إلا إياه ولا يلوذون إلا بجنابه ، ولا يطلبون الحوائج إلا منه ، ولا يرغبون إلا إليه ، ويعلمون أنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه المتصرف في الملك ، وحده لا شريك له ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب ولهذا قال سعيد بن جبير التوكل على الله جماع الإيمان . وقوله (الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون) ينبه تعالى بذلك على أعمالهم بعد ما ذكر اعتقادهم وهذه الأعمال تشمل أنواع الخير كلها ، وهو إقامة الصلاة وهو حق الله تعالى وقال قتادة: إقامة الصلاة المحافظة على مواعيتها ووضوئها وركوعها وسجودها ، وقال مقاتل بن حيان إقامتها المحافظة على مواعيتها وإسباغ الطهور فيها وتمام ركوعها وسجودها وتلاوة القرآن فيها والتشهد والصلاة على النبي ﷺ هذا إقامتها ، والاتفاق مما رزقهم الله يشمل إخراج الزكاة وسائر الحقوق للعباد من واجب ومستحب . والحلق كلمهم عيال الله فأحبههم إلى الله أشعهم لخلقهم . قال قتادة في قوله (وما رزقناهم ينفقون) فأنفقوا بما رزقكم الله فإنما هذه الأموال عواري وودائع عندك يا ابن آدم أو شكت أن تفارقها

وقوله (أولئك هم المؤمنون حقا) أى المتصفون بهذه الصفات هم المؤمنون حق الإيمان . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي حدثنا أبو كريب حدثنا زيد بن الحباب حدثنا ابن لميعة عن خالد بن يزيد السكسكي عن سعيد بن أبي هلال عن محمد بن أبي الجهم عن الحارث بن مالك الأنصاري أنه مر برسول الله ﷺ فقال له « كيف أصبحت يا حارث ؟ » قال . أصبحت مؤمنا حقا قال « انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ؟ » فقال عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربي بارزاً وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها . فقال « يا حارث عرفت فالزم » ثلاثا وقال عمرو بن مرة في قوله تعالى (أولئك هم المؤمنون حقا) إنما أنزل القرآن بإسان العرب كقولك فلان سيد حقا وفي القوم سادة . وفلان تاجر حقا وفي القوم تجار . وفلان شاعر حقا وفي القوم شعراء . وقوله (لهم درجات عند ربهم) أى منازل ومقامات ودرجات فى الجنات كما قال تعالى (لهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون) (ومغفرة) أى يغفر لهم السيئات ويشكر لهم الحسنات . وقال الضحاك فى قوله (لهم درجات عند ربهم) أهل الجنة بعضهم فوق بعض فيرى الذى هو فوق فضله على الذى هو أسفل منه ، ولا يرى الذى هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد ، ولهذا جاء فى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال « إن أهل عليين ليراهم من أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر فى أفق من آفاق السماء » قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا ينالها غيرهم فقال « بلى والذى نفسى بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين » وفى الحديث الآخر الذى رواه الإمام أحمد وأهل السنن من حديث ابن أبى عتيبة عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة ليتراءون أهل الدرجات العلى كما تراءون الكوكب الغابر فى أفق السماء وإن أبابكر وعمر منهم وأنما »

﴿ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُرْهُونَ * يَجِدُ لُنُوكَ فِي الْخَلْقِ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَانَمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذْ بَعَدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَطْلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾

قال الإمام أبو جعفر الطبرى اختلف الفسرون فى السبب الجالب لهذه الكاف فى قوله (كما أخرجك ربك) فقال بعضهم شبه به فى الصلاح للمؤمنين اتقاؤهم ربهم وإصلاحهم ذات بينهم وطاعتهم لله ورسوله ثم روى عن عكرمة نحو هذا ومعنى هذا أن الله تعالى يقول كما أنكم لما اختلفتم فى الغائم وتشاحتم فيها فاتزعها الله منكم وجعلها إلى قسمه وقسم رسوله ﷺ فقسمها على العدل والتسوية فكان هذا هو المصلحة التامة لكم وكذلك لما كرهتم الخروج إلى

الأعداء من قتال ذات الشوكة وهم النفير الذين خرجوا لنصر دينهم وإحراز غيرهم فكان عاقبة كراهتكم للقتال بأن قدره لكم وجمع به بينكم وبين عدوكم على غير ميعاد رشداً وهدى ، ونصراً وفتحاً ، كما قال تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن يسلب الله منكم الدين كله بما كنتم تكفرون) وهو كره لكم وعسى أن يسلب الله منكم الدين كله بما كنتم تكفرون (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق) على كره من فريق من المؤمنين كذلك هم كارهون للقتال فهم يجادلونك فيه بعد ما تبين لهم .. ثم روى عن مجاهد نحوه أنه قال (كما أخرجك ربك) قال كذلك يجادلونك في الحق وقال السدي أنزل الله في خروجه إلى بدر ومجادلتهم إياه فقال (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) لطلب المشركين (يجادلونك في الحق بعد ما تبين) وقال بعضهم يسألونك عن الأنفال مجادلة كما جادلوك يوم بدر فقالوا أخرجتنا للعرير ولم تعلمنا قتالا فنستعده . قلت رسول الله ﷺ إنما خرج من المدينة طالبا لعرير أبي سفيان التي بلغه خبرها أنها صادرة من الشام فيها أموال جزيلة لقريش فاستنفض رسول الله ﷺ المسلمين من خف منهم فخرج في ثلثمائة وبضعة عشر رجلاً ، وطلب نحو الساحل من على طريق بدر ، وعلم أبو سفيان بخروج رسول الله ﷺ في طلبه فبعث ضمضم بن عمرو نذيراً إلى أهل مكة فهضوا في قريب من ألف متنع ما بين التسعمائة إلى الألف وتيامن أبو سفيان بالعرير إلى سيف البحر فنجا وجاء النفير فورردوا ماء بدر وجمع الله بين المسلمين والكافرين على غير ميعاد لما يريد الله تعالى من إعلاء كلمة المسلمين ونصرهم على عدوهم والفرقة بين الحق والباطل كما سيأتي بيانه ، والغرض أن رسول الله ﷺ لما بلغه خروج النفير أوحى إليه بعده إحدى الطائفتين إما العير وإما النفير ورغب كثير من المسلمين إلى العير لأنه كسب بلا قتال كما قال تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين) قال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد الطبراني حدثنا بكر بن سهل حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن أسلم أبي عمران حدثه أنه سمع أبا أيوب الأنصاري يقول : قال رسول الله ﷺ ونحن بالمدينة « إني أخبرت عن عير أبي سفيان أنها مقبلة فهل لكم أن نخرج قبل هذه العير لعل الله أن يغنمناها ؟ » فقلنا نعم فخرجنا فلما سرنا يوماً أو يومين قال لنا « ماترون في قتال القوم فلم نخرج قبل هذه العير بخروجكم ؟ » فقلنا لا والله ما لنا طاقة بقتال العدو ولكننا أردنا العير ثم قال « ماترون في قتال القوم ؟ » فقلنا مثل ذلك فقال القداد بن عمرو إذا لا تقول لك يا رسول الله كما قال قوم موسى لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) قال فتمنينا معشر الأنصار أن لو قلنا كما قال القداد أحب إلينا من أن يكون لنا مال عظيم ، قال فأنزله على رسوله ﷺ (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) وذكر تمام الحديث ورواه ابن أبي حاتم من حديث ابن لهيعة بنحوه وروى ابن مردويه أيضاً من حديث محمد بن عمرو بن علقمة بن أبي وقاص الليثي عن أبيه عن جده قال قال رسول الله ﷺ « كيف ترون ؟ » فقال أبو بكر : يا رسول الله بلغنا أنهم بمكان كذا وكذا ، قال : ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال عمر مثل قول أبي بكر ثم خطب الناس فقال « كيف ترون ؟ » فقال سعد بن معاذ يا رسول الله إيانا تريد ؟ فوالذي أكرمك وأنزل عليك الكتاب ما سلكتها قط ولا لي بها علم ولئن سرت حتى تأتي برك الغمام من ذي يمن لنسيرن معك ولا نكون كالذين قالوا لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معك مقاتلون ، ولعلك أن تكون خرجت لأمر وأحدث الله اليك غيره فانظر الذي أحدث الله اليك فامض له ، فصل جبال من شئت ، واقطع جبال من شئت ، وعاد من شئت ، وسالم من شئت ، وخذ من أموالنا ما شئت ، فنزل القرآن على قول سعد (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) الآيات وقال العوفي عن ابن عباس لما شاور النبي صلى الله عليه وسلم في لقاء العدو ، وقاله سعد بن عباد ما قال وذلك يوم بدر أمر الناس أن يتهيأوا للقتال وأمرهم بالشوكة فكره ذلك أهل الإيمان أنزل الله (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) * يجادلونك في الحق بعد ما تبين كما بما يساقون إلى الموت وهم

ينظرون) وقال مجاهد يجادلونك في الحق : في القتال ، وقال محمد بن إسحق (يجادلونك في الحق) أى كراهية للقراء
المشركين ، وإنكارا لمسير قريش حين ذكروا لهم وقال السدى (يجادلونك في الحق بعد ما تبين) أى بعد ما تبين لهم
أنك لا تفعل إلا ما أمرك الله به . قال ابن جرير وقال آخرون عنى بذلك المشركين ، حدثنا يونس أنبأنا ابن وهب
قال : قال ابن زيد في قوله تعالى (يجادلونك في الحق بعد ما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون) قال هؤلاء
المشركون جادلوه في الحق كأنما يساقون إلى الموت حين يدعون إلى الاسلام وهم ينظرون . قال وليس هذا من
صفة الآخرين . هذه صفة مبتدأة لأهل الكفر . ثم قال ابن جرير ولا معنى لما قاله لأن الذى قبل قوله (يجادلونك
في الحق) خبر عن أهل الإيمان والذى يتلوه خبر عنهم . والصواب قول ابن عباس وابن إسحق أنه خبر عن المؤمنين
وهذا الذى نصره ابن جرير هو الحق وهو الذى يدل عليه سياق الكلام والله أعلم . وقال الإمام أحمد رحمه الله
حدثنا يحيى بن بكير وعبد الرزاق قالا : حدثنا إسرائيل عن سهاك عن عكرمة عن ابن عباس قال : قيل لرسول الله
صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعرير ليس دونها شيء فناداه العباس بن عبد المطلب قال عبد الرزاق
وهو أسير في وثاقه إنه لا يصلح لك : قال ولم ؟ قال لأن الله عز وجل إنما وعدك إحدى الطائفتين وقد أعطاك الله
ما وعدك إسناد جيد ولم يخرج^(١) ومعنى قوله تعالى (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) أى يحبون أن
الطائفة التى لاحد لها ولا منعة ولا قتال تكون لهم وهى العير (ويريد الله أن يحق الحق بكلماته) أى هو يريد أن
يجمع بينكم وبين الطائفة التى لها الشوكة والقتال ليظفركم بهم وينصركم عليهم . ويظهر دينه ويرفع كلمة الاسلام
ويجعله غالبا على الأديان وهو أعلم بعواقب الأمور وهو الذى يدبركم بحسن تدييره ، وإن كان العباد يحبون خلاف
ذلك فيما يظهر لهم كقوله تعالى (كتب عليكم القتال وهو كره لكم . وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم . وعسى
أن تحبوا شيئا وهو شر لكم) وقال محمد بن إسحق رحمه الله حدثني محمد بن مسلم الزهرى . وعاصم بن عمر بن قتادة
وعبد الله بن أبي بكر ويزيد بن رومان عن عروة بن الزبير وغيرهم من علمائنا عن عبد الله بن عباس كل قد حدثني
بعض هذا الحديث فاجتمع حديثهم فيما سقت من حديث بدر قالوا لما سمع رسول الله ﷺ بأبي سفيان مقبلا
من الشام ندب المسلمين إليهم . وقال هذه عير قريش فيها أموالهم فاخرجوا إليها لعل الله أن ينفلكموها فاتدب
الناس فخف بعضهم وثقل بعضهم وذلك أنهم لم يظنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقى حربا وكان أبو سفيان قد
استنفر حين دنا من الحجاز يتجسس الأخبار . ويسأل من لقي من الركبان تخوفا على أمر الناس حتى أصاب خبراً
من بعض الركبان أن محمداً قد استنفر أصحابه لك ولعيرك فحذر عند ذلك فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفارى فبعثه إلى
أهل مكة وأمره أن يأتى قريشاً فيستنفرهم إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لها فى أصحابه فخرج ضمضم
ابن عمرو سريعا إلى مكة وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه حتى بلغ واديا يقال له ذفران فخرج
منه حتى إذا كان ببعضه نزل وأتاه الخبر عن قريش بمسيرهم ليعنوا غيرهم فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم
الناس وأخبرهم عن قريش فقام أبو بكر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم قام عمر رضى الله عنه فقال فأحسن . ثم
قام المقداد بن عمرو فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله به فحن معك والله لا تقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى
(اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون فوالذى بعثك بالحق
لو سرت بنا إلى برك الغماد يعنى مدينة الحبشة لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه فقال له رسول الله صلى
الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أشيروا على أيها الناس »
وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم كانوا عدد الناس وذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا يا رسول الله : إنا
برآء من ذمامك حتى تصل إلى دارنا فإذا وصلت إلينا فأنت فى ذمامنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوف أن لا تكون الأنصار ترى عليها نصرته إلا بمن دهمه بالمدينة
من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك قال له سعد
(١) فى نسخة الأهر : ولم يخرجوه ، يعنى الشيخين وأصحاب السن .

ابن معاذ والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟ قال: «أجل» فقال فقد آمننا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك على ذلك عهدنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما أمرك الله فوالذي بعثك بالحق إن استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما يتخلف منا رجل واحد وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا إنا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله ، فسر رسول الله ﷺ بقول سعد ونسطه ذلك ثم قال «سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم» وروى العوفي عن ابن عباس نحوه هذا وكذلك قال السدي وقتادة وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم وغير واحد من علماء السلف والخلف اختصروا أقوالهم اكتفاء بسياق محمد بن إسحق

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلٰٓئِكَةِ مُرَدِّفِينَ ۖ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ
وَلِتَطْمَِٔنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو نوح قراد حدثنا عكرمة بن عمار حدثنا ممالك الحنفى أبو زميل حدثني ابن عباس حدثني عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر النبي ﷺ إلى أصحابه وهم ثلثمائة ونيف ونظر إلى المشركين فإذا هم ألف وزيادة فاستقبل النبي ﷺ القبلة وعليه رداؤه وإزاره ، ثم قال «اللهم أنجز لى ما وعدتني اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تعبد فى الأرض أبدا» قال فما زال يستغيث ربه ويدعوه حتى سقط رداؤه عن منكبيه فأتاه أبو بكر فأخذ رداء فرداه ثم التزمه من ورائه ثم قال: يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فإنه سينجز لك ما وعدك فأنزل الله عز وجل (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين) فلما كان يومئذ القوا فهزم الله المشركين فقتل منهم سبعون رجلا وأسر منهم سبعون رجلا ، واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وعمر وعلياً فقال أبو بكر: يا رسول الله هؤلاء بنو العم والعشيرة والاخوان وإنى أرى أن تأخذ منهم الفدية فيكون ما أخذناه منهم قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدا فقال رسول الله ﷺ « ما ترى يا ابن الخطاب؟ » قال: قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ولكنى أرى أن تمكنى من فلان قريب لعمر فأضرب عنقه وتمكن علياً من عقيل فبضرب عنقه وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أن ليس فى قلوبنا هواده للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فهوى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم بهو ما قلت وأخذ منهم الفداء فلما كان من الغد قال عمر فهدوت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وهما يبكيان فقلت: يا رسول الله ما يبكيك أنت وصاحبك فان وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تبكيت لبكائك . قال النبي ﷺ « للذى عرض على أصحابك من أخذهم الفداء لقد عرض على عذابكم أذى من هذه الشجرة » لشجرة قريبة من النبي ﷺ وأنزل الله عز وجل (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يثخن فى الأرض - إلى قوله - فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) فأحل لهم الغنائم . فلما كان يوم أحد من العام المقبل عوقبوا بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي ﷺ عن النبي ﷺ وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه فأنزل الله (أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شىء قدير) بأخذكم الفداء ورواه مسلم وأبو داود والترمذى وابن جرير وابن مردويه من طرق عن عكرمة بن عمار به وصححه على بن الدينى والترمذى وقال لا يعرف إلا من حديث عكرمة بن عمار الجمانى وهكذا روى على بن أبى طلحة والعوفي عن ابن عباس أن هذه الآية الكريمة قوله (إذ تستغيثون ربكم) فى دعاء النبي ﷺ وكذا قال يزيد بن تبيع والسدى وابن جرير وقال أبو بكر بن عياش عن أبى حصين عن أبى صالح قال: لما كان يوم بدر جعل النبي ﷺ يناشد ربه أشد المناشدة يدعو فاتاه عمر بن الخطاب

رضى الله عنه فقال يا رسول الله : بعض مناشدتك فوالله ليفين الله لك بما وعدك ، قال البخارى فى كتاب المغازى باب قول الله تعالى (إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم - إلى قوله - فإن الله شديد العقاب) حدثنا أبو نعيم حدثنا إسرائيل عن مخارق عن طارق بن شهاب قال سمعت ابن مسعود يقول شهدت من القداد بن الأسود مشهدا لأن أكون صاحبه أحب إلى مما عبد به ، أتى النبي ﷺ وهو يدعو على المشركين فقال : لا تقول كما قال قوم موسى (اذهب أنت وربك فقاتلا) ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك فرأيت النبي ﷺ أشمق وجهه وسره يعنى قوله . حدثني محمد بن عبد الله بن حوشب حدثنا عبد الوهاب حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ يوم بدر « اللهم أنشدك عهدك ووعدك اللهم إن شئت لم تعبد » فأخذ أبو بكر بيده فقال : حسبك فخرج وهو يقول « سهرزم الجمع ويولون الدبر » ورواه النسائي عن بندار عن عبد الوهاب عن عبد الحميد الثقفي وقوله تعالى (بألف من الملائكة مردفين) أى يردف بعضهم بعضا كما قال هارون بن هبيرة عن ابن عباس (مردفين) متبايعين ويحتمل أن المراد (مردفين) لكم أى نجدة لكم كما قال العوفي عن ابن عباس (مردفين) يقول المدد كما تقول أنت للرجل زده كذا وكذا وهكذا قال مجاهد وابن كثير القارىء وابن زيد (مردفين) ممدين ، وقال أبو كدينة عن قابوس عن أبيه عن ابن عباس (يمددكم ربكم بألف من الملائكة مردفين) قال وراء كل ملك ملك . وفى رواية بهذا الإسناد (مردفين) قال بعضهم على أثر بعض وكذا قال أبو ظبيان والضحاك وقتادة وقال ابن جرير حدثني المثنى حدثنا إسحق حدثنا يعقوب بن محمد الزهرى حدثني عبد العزيز بن عمران عن الربيع عن أبي الحويرث عن محمد بن جبير عن علي رضي الله عنه قال : نزل جبريل فى ألف من الملائكة عن ميمنة النبي ﷺ وفيها أبو بكر ، ونزل ميكائيل فى ألف من الملائكة عن ميسرة النبي ﷺ وأنا فى الميسرة . وهذا يقتضى إن صح إسناده أن الألف مردفة بثلاثها ولهذا قرأ بعضهم (مردفين) بفتح الدال والله أعلم . والمشهور ما رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل فى خمسمائة من الملائكة مجنبة ، وميكائيل فى خمسمائة مجنبة ، وروى الإمام أبو جعفر ابن جرير ومسلم من حديث عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك ابن وليد الحنفى عن ابن عباس عن غمير الحديث المتقدم ثم قال أبو زميل : حدثني ابن عباس قال : بينا رجل من المسلمين يشد فى أثر رجل من المشركين أمامه إذ سمع ضربة بالسوط فوقه وصوت الفارس يقول أقدم حيزوم إذ نظر إلى المشرك أمامه فخر مستلقيا قال فنظر إليه فإذا هو قد حطم وشق وجهه كضربة السوط فاخضر ذلك أجمع فجاء الأنصارى فحدث ذلك رسول الله ﷺ فقال صدقت ذلك من مدد السماء الثالثة فقتلوا يومئذ سبعين وأسروا سبعين وقال البخارى : (باب شهود الملائكة بدرا) حدثنا إسحق بن إبراهيم حدثنا جرير عن يحيى بن سعيد عن معاذ بن رفاعة بن رافع الزرقى عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال « من أفضل المسلمين » أو كلمة نحوها قال : وكذلك من شهد بدرا من الملائكة . انفرد بإخراجه البخارى وقد رواه المطبرانى فى المعجم الكبير من حديث رافع بن خديج وهو خطأ ، والصواب رواية البخارى والله أعلم وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لعمر لما شاوره فى قتل حاطب بن أبى بلتعنة « إنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » وقوله تعالى (وما جعله الله إلا بشرى) الآية . أى وما جعل الله بعث الملائكة وإعلامه إياكم بهم إلا بشرى (ولنظمتن به قلوبكم) وإلا فهو تعالى قادر على نصركم على أعدائكم ولتظمتن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله أى بدون ذلك ولهذا قال (وما النصر إلا من عند الله) كما قال تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا فاضرب الرقاب حتى إذا اثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها * ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبؤن بعضكم ببعض والذين قتلوا فى سبيل الله فلن يضل أعمالهم * سهدتهم ويصلح بالهم * ويدخلهم الجنة عرفها لهم) وقال تعالى (وتلك الأيام ندوها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين * وليحص الله الذين آمنوا

ويعحق الكافرين) فهذه حكم شرع الله جهاد الكفار بأيدي المؤمنين لأجلها وقد كان تعالى إنيما يقاب الأمم السالفة المكذبة للأنبياء بالقوارع التي تم تلك الأمم المكذبة كما أهلك قوم نوح بالطوفان ، وعادا الأولى بالدبور ، ومود بالصيحة ، وقوم لوط بالحسف والقلب وحجارة السجيل ، وقوم شعيب بيوم الظلة ، فلما بعث الله تعالى موسى وأهلك عدوه فرعون وقومه بالغرق في اليم ثم أنزل على موسى التوراة شرع فيها قتال الكفار واستمر الحكم في بقية الشرائع بعده على ذلك كما قال تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى بصائر) وقتل المؤمنين للكافرين أشد إهانة للكافرين ، وأشقى لصدور المؤمنين ، كما قال تعالى للمؤمنين من هذه الأمة (قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، ويغزهم وينصركم عليهم ، ويشف صدور قوم مؤمنين) ولهذا كان قتل صناديد قريش بأيدي أعدائهم الذين ينظرون إليهم بأعين ازدراهم أنكى لهم وأشقى لصدور حزب الإيمان ، فقتل أبي جهل في معركة القتال وحومة الوغى أشد إهانة له من موته على فراشه بقارعة أو صاعقة أو نحو ذلك كما مات أبو لهب لعنه الله بالعدسة بحيث لم يقربه أحد من أقاربه ، وإنما غسلوه بالماء قذفا من بعيد ، ورجوه حتى دفنوه ، ولهذا قال تعالى (إن الله عزيز) أى له العزة ورسوله وللمؤمنين بهما في الدنيا والآخرة كقوله تعالى (إنا لننصر رسلانا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد) (حكيم) فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى

﴿ إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَ كُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴾ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَيُّ مَعَكُمْ فَنَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَاءَ لِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّغْبَ فَأُضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأُضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * ذَلِكَ فِذُوقُهُمْ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ﴿

يذكرهم الله تعالى بما أنعم به عليهم من إفائه النعاس عليهم أمانا أمنهم به من خوفهم الذي حصل لهم من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، وكذلك فعل تعالى بهم يوم أحد كما قال تعالى (ثم أنزل عليكم من بعد النعم أمانة نعاساً يعشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) الآية ، قال أبو طلحة : كنت بمن أصابه النعاس يوم أحد ، ولقد سقط السيف من يدي مرارا يسقط وآخذه ، ويسقط وآخذه ، ولقد نظرت إليهم يميدون وهم تحت الحجب : وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا زهير حدثنا ابن مهدي عن شعبة عن أبي إسحق عن حارثة بن مضرب عن علي رضي الله عنه قال : ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي تحت شجرة ويكفي حتى أصبح . وقال سفيان الثوري عن عاصم عن أبي رزين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال : النعاس في القتال أمانة من الله ، وفي الصلاة من الشيطان ، وقال قتادة : النعاس في الرأس ، والنوم في القلب ، قلت أما النعاس فقد أصابهم يوم أحد وأمر ذلك مشهور جدا ، وأما الآية الشريفة إنما هي (١) في سياق قصة بدر ، وهي دالة على وقوع ذلك أيضا وكان ذلك كائن للمؤمنين عند شدة البأس لتكون قلوبهم أمانة مطمئنة بنصر الله ، وهذا من فضل الله ورحمته بهم ونعمته عليهم وكما قال تعالى (فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا) ولهذا جاء في الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كان يوم بدر في العريش مع الصديق رضي الله عنه وهما يدعوان أخذت رسول الله صلى الله عليه وسلم سنة من النوم ثم استيقظ متبعا فقال « أبشر يا أبا بكر هذا جبريل على ثنياه النقع » ثم خرج من باب العريش وهو يتلو قوله تعالى (سيهزم الجمع ويولون الدبر) وقوله (وينزل عليكم من السماء ماء) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : نزل النبي صلى الله عليه وسلم حين سار إلى بدر والشركون بينهم وبين الماء رملة دعصة وأصاب المسلمين ضعف شديد وألقى الشيطان في قلوبهم الغيظ يوسوس بينهم تزعمون أنكم أولياء الله تعالى وفيكم رسوله وقد (١) الوجه أن يقال فإنما هي إلى الخ وفي الأميرية وفي نسخة الأزهر ، وأما يوم بدر فهذه الآية الشريفة إنما هي في سياق قصة بدر .

غلبكم المشركون على الماء وأتم تصالون مجنبن فأمطر الله عليهم مطرا شديدا فشرب المسلمون وتطهروا وأذهب الله عنهم رجس الشيطان وثبت الرمل حين أصابه المطر ومشى الناس عليه والدواب فساروا إلى القوم ، وأمد الله نبيه ﷺ والمؤمنين بألف من الملائكة فكان جبريل في خمسمائة مجنبة ، وميكائيل في خمسمائة مجنبة . وكذا قال العوفي عن ابن عباس : إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير وليقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر فغلبوا المؤمنين عليه فأصاب المؤمنين الظما فجعلوا يصلون مجنبن محدثين حتى تعاطوا ذلك في صدورهم فأنزل الله من السماء ماء حتى سال الوادى فشرب المؤمنون وملؤا الأسقية وسقوا الركاب واغتسلوا من الجنابة فجعل الله في ذلك طهورا وثبت به الأقدام وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة فبعث الله المطر عليها فضر بها حتى اشتدت وثبتت عليها الأقدام . ونحو ذلك روى عن قيادة والضحاك والسدي ، وقد روى عن سعيد بن المسيب والشعبي والزهرى وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم أنه طش أصحابهم يوم بدر . والمعروف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سار إلى بدر نزل على أدنى ماء هناك أى أول ماء وحده فتقدم إليه الحباب بن النذر فقال يارسول الله هذا المنزل الذى نزلته منزل أنزلك الله إياه فليس لنا أن نجاوزه أو منزل نزلته للحرب والمكيدة ؟ فقال « بل منزل نزلته للحرب والمكيدة » فقال يارسول الله إن هذا ليس بمنزل ولكن سر بنا حتى نزل على أدنى ماء إلى القوم ونغور ما وراءه من القلب ، ونستقي الحياض فيكون لنا ماء وليس لهم ماء فسار رسول الله ﷺ ففعل كذلك ، وفى مغازى الأموى أن الحباب لما قال ذلك نزل ملك من السماء وجبريل جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ذلك الملك ، يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك إن الرأى ما أشار به الحباب بن النذر فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل عليه السلام فقال « هل تعرف هذا ؟ » فنظر إليه فقال : ما كل الملائكة أعرفهم وإنه ملك وليس بشيطان . وأحسن ما فى هذا ما رواه الإمام محمد ابن إسحق بن يسار صاحب المغازى رحمه الله حدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : بعث الله السماء وكان الوادى دهسا فأصاب رسول الله ﷺ وأصحابه ما لبد لهم الأرض ولم يمنعهم من المسير وأصاب قريشا ما لم يقدروا على أن يرحلوا معه وقال مجاهد : أنزل الله عليهم المطر قبل العاص فأطفأ بالمطر الغبار وتلبدت به الأرض وطابت نفوسهم وثبتت به أقدامهم ، وقال ابن جرير : حدثنا هرون بن إسحق حدثنا مصعب بن المقدم حدثنا إسرائيل حدثنا أبو إسحق عن جارية عن على بن رضى الله قال : أصابنا من الليل طش من المطر يعنى الليلة التى كانت فى صبيحتها وقعة بدر فانطلقنا تحت الشجرة والحجف نستظل تحتها من المطر وبات رسول الله ﷺ وحرض على القتال . وقوله (ليظهركم به) أى من حدث أصغر أو أكبر وهو تطهير الظاهر (ويذهب عنكم رجس الشيطان) أى من وسوسة أو خاطر سيء وهو تطهير الباطن كما قال تعالى فى حق أهل الجنة (عالمهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلوا أساور من فضة) فهذا زينة الظاهر (وسقاهم ربهم شرابا طهورا) أى مطهرا لما كان من غل أو حسد أو تباعض وهو زينة الباطن وطهارته (وليربط على قلوبكم) أى بالصبر والاقدام على مجالدة الأعداء وهو شجاعة الباطن (ويثبت به الأقدام) وهو شجاعة الظاهر والله أعلم

وقوله (إذ يوحى ربك إلى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا) وهذه نعمة خفية أظهرها الله تعالى لهم ليشكروه عليها وهو أنه تعالى وتقدس وتبارك وتمجد أوحى إلى الملائكة الذين أنزلهم لنصر نبيه ودينه وحزبه المؤمنين يوحى إليهم فيما بينه وبينهم أن يثبتوا الذين آمنوا قال ابن إسحق : وازروهم ، وقال غيره : قاتلوا معهم وقيل كثروا سوادهم وقيل كان ذلك بأن الملك كان يأتى الرجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيقول سمعت هؤلاء القوم يعنى المشركين يقولون والله لئن حملوا عاينا لننكسفن فيحدث المسلمون بعضهم بعضا بذلك فتقوى أنفسهم حكاة ابن جرير وهذا لفظه بحروفه ، وقوله (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) أى ثبتوا أتم المؤمنين وقوا أنفسهم على أعدائهم عن أمرى لكم بذلك سألقى الرعب والدلة والصغار على من خالف أمرى وكذب رسولى (فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) أى اضربوا الهام ففائقوها ، واحزوا الرقاب فقطعوها ، وقطعوا الأطراف منهم وهى

أيديهم وأرجلهم وقد اختلف المفسرون في معنى (فوق الأعناق) فقيل معناه اضربوا الرؤوس قاله عكرمة وقيل معناه أى على الأعناق وهى الرقاب قاله الضحاك وعطية العوفى ويشهد لهذا المعنى أن الله تعالى أُرشد المؤمنين إلى هذا في قوله تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا اثبتتكم فشدوا الوثاق) وقال وكيع عن السعوى عن القاسم قال : قال النبي ﷺ « إني لم أبعث لأعذب بعذاب الله ، إنما بعثت لضرب الرقاب وشد الوثاق » واختار ابن جرير أنها قد تدل على ضرب الرقاب وقلق الهام ، قلت وفي مغازى الأموى أن رسول الله ﷺ جعل يمر بين القتلى يوم بدر فيقول « يفلق هاما » فيقول أبو بكر (١) ... من رجال أئمة علينا * وهم كانوا أعق وأظلماء فيبتدىء رسول الله ﷺ بأول البيت ويستطعم أبا بكر رضى الله عنه إنشاد آخره لأنه كان لا يحسن إنشاد الشعر كما قال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغي له) وقال الربيع بن أنس : كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلهم بضرب فوق الأعناق وعلى البنان مثل ممة النار قد أحرق به ، وقوله (واضربوا منهم كل بنان) قال ابن جرير معناه واضربوا من عدوكم أيها المؤمنون كل طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم ، والبنان جمع بنانة كما قال الشاعر :

ألا ليتنى قطعت منى بنانة * ولايته في البيت يقظان حاذرا

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (واضربوا منهم كل بنان) يعنى بالبنان الأطراف وكذا قال الضحاك وابن جرير وقال السدى البنان الأطراف ويقال كل مفصل وقال عكرمة وعطية العوفى والضحاك في رواية أخرى كل مفصل وقال الأوزاعي في قوله تعالى (واضربوا منهم كل بنان) قال اضرب منه الوجه والعين وارمه بشهاب من نار فإذا أخذته حرم ذلك كله عليك وقال العوفى عن ابن عباس فذكر قصة بدر إلى أن قال فقال أبو جهل لا تصنأوهم قتلا ولكن خذوهم أخذنا حتى تعرفوهم الذى صنعوا من طعنهم في دينكم ورجبتهم عن اللات والعزى فأوحى الله إلى الملائكة (أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا سألنى في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) الآية . قتل أبو جهل لعنه الله في تسعة وستين رجلا ، وأسر عقبة بن أبى معيط قتل صبرا فوفى ذلك سبعين يعنى قتيلا ولهذا قال تعالى (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) أى خالفوها فساروا في شق وتركوا الشرع والإيمان به واتساعه في شق ، ومأخوذ أيضا من شق العصا وهو جعلها فرقتين (ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد العقاب) أى هو الطالب الغالب لمن خالفه وناوأه لا يفوته شيء ولا يقوم لغضبه شيء تبارك وتعالى لا إله غيره ولا رب سواه (ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار) هذا خطاب للكفار أى ذوقوا هذا العذاب والنكال في الدنيا واعلموا أيضا أن للكافرين عذاب النار في الآخرة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحَفًا فَلَا تُولُوهُمُ الْأَدْبَارَ * وَمَنْ يُولُوهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّقًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

يقول تعالى متوعدا على الفرار من الزحف بالنار لمن فعل ذلك (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفا) أى تقاربتم منهم ودبوتهم إليهم (فلا تولوهم الأدبار) أى تفروا وتركوا أصحابكم (ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال) أى يفر بين يدي قرنه مكيدة ليريه أنه قد خاف منه فيتبعه ثم يكر عليه فيقتله فلا بأس عليه في ذلك نص عليه سعيد بن جبير والسدى وقال الضحاك أن يتقدم عن أصحابه ليرى غرة من العدو فيصيبها (أو متحيزا إلى فئة) أى فر من هاهنا إلى فئة أخرى من المسلمين يعاونهم ويعاونونه فيجوز له ذلك حتى لو كان في سرية ففر إلى أميره أو إلى الإمام الأعظم دخل في هذه الرخصة قال الإمام أحمد : حدثنا حسن حدثنا زهير حدثنا يزيد بن أبى زياد عن عبد الرحمن بن أبى ليلي عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال كنت في سرية من سرايا رسول الله ﷺ فحاص الناس حيصة فكنت فيمن حاص فقلنا كيف نضع وقد فررنا من الزحف وبؤنا بال غضب ؟ ثم قلنا لو دخلنا المدينة

ثم بتنا ثم قلنا لو عرضنا أنفسنا على رسول الله ﷺ فإن كانت لنا توبة وإلا ذهبنا ، فأئتناه قبل صلاة الغداة فخرج فقال « من القوم ؟ » فقلنا نحن الفرارون فقال « لا بل أتم العكارون أنا فتسكم وأنا فئة المسلمين » قال فأئتناه حتى قبلنا يده . وهكذا رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه من طرق عن يزيد بن أبي زياد ، وقال الترمذي حسن لانعرفه إلا من حديث ابن أبي زياد ورواه ابن أبي حاتم من حديث يزيد بن أبي زياد به ، وزاد في آخره وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية (أو متحيزا إلى فئة) قال أهل العلم معنى قوله « العكارون » أي العرافون ، وكذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في أي عبيدة لما قتل على الجسر بأرض فارس لكثرة الجيش من ناحية الجيوس فقال عمر لو تحيز إلى لكنت له فئة هكذا رواه محمد بن سيرين عن عمر ، وفي رواية أبي عثمان النهدي عن عمر قال لما قتل أبو عبيدة قال عمر أيها الناس أنا فتسكم ، وقال مجاهد قال عمر أنا فئة كل مسلم ، وقال عبد الملك بن عمير عن عمر أيها الناس لا تغرنكم هذه الآية فإنما كانت يوم بدر وأنا فئة لكل مسلم ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا حسان بن عبد الله المصري حدثنا خالد بن سليمان الحضرمي حدثنا نافع أنه سأل ابن عمر قلت إنا قوم لانتبث عند قتال عدونا ، ولا ندرى من الفئة اماننا أو عسكرينا فقال إن الفئة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت إن الله يقول (إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً) الآية ، فقال إنما أنزلت هذه الآية في يوم بدر لاقبلها ولابعدها ، وقال الضحاك في قوله (أو متحيزا إلى فئة) المتحيز الفار إلى النبي وأصحابه ، وكذلك من فر اليوم إلى أميره أو أصحابه فأما إن كان الفرار لاعتن سبب من هذه الأسباب فإنه حرام وكبيرة من الكبائر لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « اجتنبوا السبع الموبقات » قيل يارسول الله وما هن ؟ قال « الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » وله شواهد من وجوه أخر ، ولهذا قال تعالى (فقد باء) أي رجع (بغضب من الله ومأواه) أي مصيره ومنقلبه يوم مياعده (جهنم وبئس المصير) وقال الإمام أحمد حدثنا زكريا بن عدى حدثنا عبد الله ابن عمر الرقي عن زيد بن أبي أنيسة حدثنا جبلة بن سحيم عن أبي المثني العبدي سمعت السدوسي يعني ابن الخصاصية وهو بشير بن معبد قال أتيت النبي ﷺ لأبأيه فاشترط على شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن أقيم الصلاة ، وأن أؤدى الزكاة ، وأن أحج حجة الاسلام ، وأن أصوم شهر رمضان ، وأن أجاهد في سبيل الله . فقلت يارسول الله أما اثنتان فوالله لا أطيقهما : الجهاد ، فإنهم زعموا أنه من ولي الدبر فقد باء بغضب من الله فأخاف إن حضرت ذلك خشعت نفسي وكرهت الموت ، والصدقة فوالله مالى إلا غيمة وعشر ذودهن رسل أهلى وحمولتهم ، فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال « فلا جهاد ولا صدقة فبم تدخل الجنة إذا ؟ » قلت يارسول الله أنا أبأبعك فبأبعته علمن كلهن ، هذا حديث غريب من هذا الوجه ولم يخرجوه في الكتب الستة . وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى بن حمزة حدثنا إسحق بن إبراهيم أبو النضر حدثنا يزيد ابن ربيعة حدثنا أبو الأشعث عن ثوبان مرفوعا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ثلاثة لا ينفع معهن عمل : الشرك بالله وعقوق الوالدين والفرار من الزحف » وهذا أيضا حديث غريب جدا ، وقال الطبراني أيضا حدثنا العباس ابن مقاتل الاسفاطى حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حفص بن عمر السني حدثني عمرو بن مرة قال سمعت بلال بن يسار بن زيد مولى رسول الله ﷺ قال سمعت أبي يحدث عن جدى قال : قال رسول الله ﷺ « من قال : أستغفر الله الذى لا إله إلا هو وأتوب اليه غفر له وإن كان قد فر من الزحف » وهكذا رواه أبو داود عن موسى بن إسماعيل به وأخرجه الترمذي عن البخارى عن موسى بن إسماعيل به وقال غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ، قلت ولا يعرف لزيد مولى النبي ﷺ عنه سواء ، وقد ذهب ذاهبون إلى أن الفرار إنما كان حراما على الصحابة لأنه (١) كان فرض عين عليهم ، وقيل على الأنصار خاصة لأنهم بايعوا على السمع والطاعة في المنشط والمكره . وقيل المراد بهذه الآية أهل بدر خاصة يروى هذا عن عمر وابن عمر وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد (١) كذا والمراد لأن الجهاد .

وأبى نصره ونافع مولى ابن عمر وسعيد بن جبير والحسن البصرى وعكرمة وعتادة والضحاك وغيرهم ، وحجتهم في هذا أنه لم تكن عصابة لها شوكة فيثون إليها إلا عصابتهم تلك كما قال النبي صلى الله عليه « اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض » ولهذا قال عبد الله بن المبارك عن مبارك بن فضالة عن الحسن في قوله (ومن يولهم يومئذ دبره) قال ذلك يوم بدر فأما اليوم فإن انحاز إلى فئة أو مصر أحسبه قال فلا بأس عليه ، وقال ابن المبارك أيضا عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب قال أوجب الله تعالى لمن فر يوم بدر النار قال (ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفا لقتال أو متحيزا إلى فئة فقد باء بغضب من الله) فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال (إن الدين تولوا منكم يوم التقي الجمعان - إلى قوله - ولقد عفا الله عنهم) ثم كان يوم حنين بعد ذلك بسبع سنين قال (ثم وليتم مدبرين * ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء) وفي سنن أبي داود والنسائي ومستدرك الحاكم وتفسير ابن جرير وابن مردويه من حديث داود بن أبي هند عن أبي نصره عن أبي سعيد أنه قال في هذه الآية (ومن يولهم يومئذ دبره) إنما أنزلت في أهل بدر ، وهذا كله لا ينفي أن يكون الفرار من الزحف حراما على غير أهل بدر؛ وإن كان سبب نزول الآية فيهم كما دل عليه حديث أبي هريرة المتقدم من أن الفرار من الزحف من الموبقات كما هو مذهب الجماهير والله أعلم .

﴿ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءًا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * ذَالِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَاذِبِينَ ﴾

يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد وأنه الحمود على جميع ما صدر منهم من خير لأنه هو الذي وفقهم لذلك وأعانهم عليه ولهذا قال (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم) أي ليس بحولكم وقوتكم قتلتم أعداءكم مع كثرة عددهم وقلة عددكم . أي بل هو الذي أظفركم عليهم كما قال (ولقد نصركم الله ببدر وأتم أذلة) الآية ، وقال تعالى (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين) يعلم تبارك وتعالى أن النصر ليس على كثرة العدد ولا بلبس اللأمة والعدد ، وإنما النصر من عنده تعالى كما قال تعالى (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين) ثم قال تعالى لبيد عليه السلام أيضا في شأن القبضة من التراب التي حسب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش بعد دعائه وتضرعه واستكاثته فرماهم بها وقال « شاهت الوجوه » ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الجملة إثرها ففعلوا فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله ولهذا قال تعالى (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكتبهم بها لا أنت . قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رفع رسول الله ﷺ يديه يعني يوم بدر فقال « يا رب إن تهلك هذه العصابة فلن تعبد في الأرض أبداً » فقال له جبريل خذ قبضة من التراب فارم بها في وجوههم فأخذ قبضة من التراب فرمى بها في وجوههم فما من المشركين أحد إلا أصاب عينيه ومنخره وفيه تراب من تلك القبضة فولوا مدبرين ، وقال السدي قال رسول الله ﷺ لعلي رضي الله عنه يوم بدر « أعطى حصبا من الأرض » فناوله حصبا عليه تراب فرمى به في وجوه القوم فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيء ثم رد فهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقال أبو معشر المدني عن محمد بن قيس ومحمد بن كعب القرظي قالوا: لما دنا القوم بعضهم من بعض أخذ رسول الله ﷺ قبضة من تراب فرمى بها في وجوه القوم وقال « شاهت الوجوه » فدخلت في أعينهم كلهم وأقبل أصحاب رسول الله ﷺ يقتلونهم ويأسرونهم وكانت هزيمتهم في رمية رسول الله ﷺ فأنزل الله (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) قال هذا يوم بدر أخذ رسول الله ﷺ ثلاث حصبات فرمى بحصبات ميمنة القوم ، وحصبات في ميسرة القوم وحصبات بين أظهرهم وقال « شاهت الوجوه » فانهزموا ، وقد روى في هذه القصة عن عروة ومجاهد وعكرمة وعتادة وغير واحد من الأئمة أنها نزلت في رمية النبي ﷺ يوم بدر وإن كان قد فعل ذلك يوم حنين

أيضاً ، وقال أبو جعفر بن جرير . حدثنا أحمد بن منصور حدثنا يعقوب بن محمد حدثنا عبد العزيز بن عمران حدثنا موسى ابن يعقوب بن عبد الله بن ربيعة عن يزيد بن عبد الله عن أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة عن حكيم بن حزام قال : لما كان يوم بدر سمعنا صوتاً وقع من السماء كأنه صوت حصاة وقعت في طست ورمى رسول الله ﷺ تلك الرمية فانهز منا غريب من هذا الوجه ، وههنا قولان آخران غريبان جداً (أحدهما) قال ابن جرير حدثني محمد بن عوف الطائي حدثنا أبو المغيرة حدثنا صفوان بن عمرو حدثنا عبد الرحمن بن جبير أن رسول الله ﷺ يوم ابن أبي الحقيق بخير دعا بقوس فأتى بقوس طويلة وقال « جيئوني بقوس غيرها » فجاءوه بقوس كبداء فرمى النبي ﷺ الحسن فأقبل السهم يهوى حتى قتل ابن أبي الحقيق وهو في فراشه فأنزل الله عز وجل (وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى) وهذا غريب وإسناده جيد إلى عبد الرحمن بن جبير بن نفيير ولعله اشتبه عليه وأنه أراد أن الآية تعم هذا كله وإلا فساق الآية في سورة الأنفال في قصة بدر لا محالة وهذا مما لا يخفى على أئمة العلم والله أعلم (والثاني) روى ابن جرير أيضاً والحاكم في مستدركه بإسناد صحيح إلى سعيد بن المسيب والزهرى أنهما قالوا : أنزلت في رمية النبي ﷺ يوم أحد أبي بن خلف بالحربة وهو في لأمته فخدشه في ترقوته فجعل يتدأدأ عن فرسه مراراً حتى كانت وفاته بعد أيام قاسى فيها العذاب الأليم موصولاً بعذاب البرزخ المتصل بعذاب الآخرة ، وهذا القول عن هذين الإمامين غريب أيضاً جداً ولعلها أرادت أن الآية تتناولها بعمومها لا أنها نزلت فيه خاصة كما تقدم والله أعلم . وقال محمد ابن إسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله (وليلى المؤمنين منه بلاء حسناً) أى يعرف المؤمنين نعمته عليهم من إظهارهم على عدوهم مع كثرة عدوهم وقلة عددهم ليعرفوا بذلك حقه ويشكروا بذلك نعمته وهكذا فسره ابن جرير أيضاً ، وفي الحديث « وكل بلاء حسن أبلانا » وقوله (إن الله سميع عليم) أى سميع الدعاء عليهم بمن يستحق النصر والغلب ، وقوله (ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين) هذه بشارة أخرى مع ما حصل من النصر أنه أعلمهم تعالى بأنه مضعف كيد الكافرين فيما يستقبل مصغر أمرهم وأنهم كل ما لهم في تبار ودمار والله الحمد والمنة

﴿ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِن تَنْتَهُوا فهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَّ عَنْكُمْ فِئْتِكُمْ شَيْئاً وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

يقول تعالى للكفار (إن تستفتحوا) أى تستنصروا وتستعاضوا الله وتستحكموه أن يفصل بينكم وبين أعدائكم المؤمنين فقد جاءكم ما سألتكم كما قال محمد بن إسحق وغيره عن الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة بن صغير أن أبا جهل قال يوم بدر : اللهم أيننا كان أقطع للرحم وآتانا بما لا يعرف (١) فاحنه الغداة . وكان ذلك استفتاحاً منه فنزلت (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) إلى آخر الآية ، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن يعنى ابن هارون أخبرنا محمد بن إسحق حدثني الزهرى عن عبد الله بن ثعلبة أن أبا جهل قال حين التقى القوم اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فاحنه الغداة . فكان المستفتح ، وأخرجه النسائى في الفسیر من حديث صالح بن كيسان عن الزهرى به ، وكذا رواه الحاكم في مستدركه من طريق الزهرى به وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، وروى نحو هذا عن ابن عباس ومجاهد والضحاك وقتادة ويزيد بن رومان وغير واحد ، وقال السدى كان المشركون حين خرجوا من مكة إلى بدر أخذوا بأستار الكعبة فاستنصروا الله وقالوا اللهم انصر أعلى الجندين وأكرم الفئتين وخير القبيلتين فقال الله (إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) يقول قد نصرت ما قلتم وهو محمد ﷺ . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم هو قوله تعالى إخباراً عنهم (وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية ، وقوله (وإن تنتهوا) أى عما أنتم فيه من الكفر بالله والتكذيب لرسوله (فهو خير لكم) أى في الدنيا والآخرة ، وقوله تعالى (وإن تعودوا نعد) كقوله (وإن عدتم عدنا) معناه وإن عدتم إلى ما كنتم فيه من الكفر والضلالة نعد لكم بمثل هذه الواقعة . وقال السدى (وإن

تعودوا) أى إلى الاستفتاح (نعد) أى إلى الفتح محمد ﷺ والنصر له وتظفيره على أعدائه والأول أقوى (ولن تعنى عنكم فتكم شيئاً ولو كثرت) أى ولو جمعتم من الجموع ماعسى أن تجمعوا ، فان من كان الله معه فلا غالب له (وإن الله مع المؤمنين) وهم الحزب النبوى والجناب المصطفى

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الضُّعُفُ الَّذِينَ لَا يُعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴾

يأمر تعالى عباده المؤمنين بطاعته وطاعة رسوله ويزجرهم عن مخالفته والتشبه بالكافرين به المعاندين له ولهذا قال (ولا تولوا عنه) أى تركوا طاعته وامثال أوامره وترك زواجره (وأنتم تسمعون) أى بعد ماعتهم مادعاكم إليه (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون) قيل المراد المشركون واختاره ابن جرير ، وقال ابن إسحق هم المنافقون فإنهم يظهرون أنهم قد سمعوا واستجابوا وليسوا كذلك ، ثم أخرج تعالى أن هذا الضرب من بنى آدم شر الخلق والحليقة فقال (إن شر الدواب عند الله الصم) أى عن سماع الحق (البكم) عن فهمه ولهذا قال (الذين لا يعقلون) فهؤلاء شر البرية لأن كل دابة مما سواهم مطيعة لله فيها خلقها له وهؤلاء خلقوا للعبادة فكفروا ، ولهذا شبههم بالأنعام فى قوله (ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء) الآية ، وقال فى الآية الأخرى (أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) وقيل المراد بهؤلاء المذكورين نفر من بنى عبد الدار من قريش روى عن ابن عباس ومجاهد واختاره ابن جرير . وقال محمد بن إسحق هم المنافقون ، قلت ولا منافاة بين المشركين والمنافقين فى هذا لأن كلا منهم مسلوب الفهم الصحيح والقصد إلى العمل الصالح ، ثم أخبر تعالى بأنهم لأنهم لهم صحيح ولا قصد لهم صحيح لو فرض أن لهم فهما فقال (ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم) أى لأفهمهم وتقدير الكلام (و) لكن لا خير فيهم فلم يفهمهم لأنه يعلم أنه (لو أسمعهم) أى أفهمهم (لتولوا) عن ذلك قصدا وعنادا بعد فهمهم ذلك (وهم معرضون) عنه

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ . وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾

قال البخارى (استجيبوا) أجيبوا (لما يحييكم) لما يصلحكم . حدثنى إسحق حدثنا روح حدثنا شعبة عن خبيب ابن عبد الرحمن قال : سمعت حفص بن عاصم يحدث عن أبى سعد بن المعلى رضى الله عنه قال كنت أصلى فمربنى النبي صلى الله عليه وسلم فدعانى فلم آتته حتى صليت ثم أتته فقال « مانعك أن تأتيني ؟ ألم يقل الله (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) - ثم قال - لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن أخرج» فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له . وقال معاذ : حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن سمع حفص بن عاصم سمع أباً سعيد رجلاً من أصحاب النبي ﷺ بهذا وقال (الحمد لله رب العالمين) هى السبع المثانى . هذا لفظه بحروفه وقد تقدم الكلام على هذا الحديث بذكر طرقه فى أول تفسير الفاتحة . وقال مجاهد فى قوله (لما يحييكم) قال للحق ، وقال قتادة (لما يحييكم) قال هو هذا القرآن فيه النجاة والبقاء والحياة وقال السدى (لما يحييكم) فى الإسلام أحيائهم بعد موتهم بالكفر ، وقال محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير (يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم) أى للحرب التى أعزكم الله تعالى بها بعد النذل وقواكم بها بعد الضعف ومنعكم من عدوكم بعد القهر منهم لكم . وقوله تعالى (واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه) قال ابن عباس يحول بين المؤمن وبين الكفر

وبين الكافر وبين الإيمان ، رواه الحاكم في مستدرکه موقوفا ، وقال صحيح ولم يخرجاه ، ورواه ابن مردويه من وجه آخر مرفوعا ، ولا يصح لضعف إسناده والموقوف أصح ، وكذا قال مجاهد وسعيد وعكرمة والضحاك وأبو صالح وعطية ومقاتل بن حيان والسدي ، وفي رواية عن مجاهد في قوله (يحول بين المرء وقلبه) أي حتى يتركه لا يعقل ، وقال السدي يحول بين الانسان وقلبه فلا يستطيع أن يؤمن ولا يكفر إلا بإذنه . وقال قتادة هو كقوله (ونحن أقرب إليه من جبل الوريد) وقد وردت الأحاديث عن رسول الله ﷺ بما يناسب هذه الآية وقال الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول « ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قال قفلنا يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل تخاف علينا ؟ قال « نعم إن القلوب بين أصبعين من أصابع الله تعالى يقبلها » وهكذا رواه الترمذي في كتاب القدر من جامعه عن هناد بن السري عن أبي معاوية محمد بن حازم الضرير عن الأعمش واسمه سليمان بن مهران عن أبي سفيان واسمه طلحة بن نافع عن أنس ثم قال حسن . وهكذا روى عن غير واحد عن الأعمش ، ورواه بعضهم عنه عن أبي سفيان عن جابر عن النبي ﷺ وحديث أبي سفيان عن أنس أصح . (حديث آخر) قال الإمام أحمد في مسنده حدثنا عبد بن حميد حدثنا عبد الملك بن عمرو حدثنا شعبة عن الحكم عن ابن أبي ليلى عن بلال رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يدعو « ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » هذا حديث جيد الاسناد إلا أن فيه انقطاعا . وهو مع ذلك على شرط أهل السنن ولم يخرجوه (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا الوليد بن مسلم قال : سمعت ابن جابر يقول : حدثني بشر بن عبيد الله الحضرمي أنه سمع أبا إدريس الخولاني يقول سمعت النواس بن سمعان الكلابي رضي الله عنه يقول سمعت النبي ﷺ يقول « ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الرحمن رب العالمين إذا شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاعه » وكان يقول « ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قال « والميزان بيد الرحمن يخفضه ويرفعه » وهكذا رواه النسائي وابن ماجه من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر فذكر مثله (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا يونس حدثنا حماد بن زيد عن العلى بن زياد عن الحسن أن عائشة قالت : دعوات كان رسول الله ﷺ يدعوها « ياقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت : فقلت يا رسول الله إنك تكثر أن تدعو بهذا الدعاء فقال « إن قلب الآدمي بين أصبعين من أصابع الله فإذا شاء أزاعه وإذا شاء أقامه » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا هشام حدثنا عبد الحميد حدثني شهر سمعت أم سلمة تحدث أن رسول الله ﷺ كان يكثر في دعائه يقول « اللهم مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » قالت فقلت يا رسول الله أو إن القلوب لتقلب ؟ قال « نعم ما خلق الله من بشر من بني آدم إلا أن قلبه بين أصبعين من أصابع الله عز وجل فإن شاء أقامه وإن شاء أزاعه فنسأل الله ربنا أن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا ، ونسأله أن يهب لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب » قالت فقلت يا رسول الله ألا تعلمني دعوة أدعو بها لنفسي ؟ قال « بلى قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من مضلات الفتن ما أحبيتي » (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا حيوة أخبرني أبو هانيء أنه سمع أبا عبد الرحمن الحبلي أنه سمع عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول « إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصفرفها كيف شاء » ثم قال رسول الله ﷺ « اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا إلى طاعتك » انفرد بإخراجه مسلم عن البخاري فرواه مع النسائي من حديث حيوة بن شريح المصري به .

﴿ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾

يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة أي اخبارا ومحنة يعم بها المسيء وغيره لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنوب بل يعمهما حيث لم تدفع وترفع ، كما قال الإمام أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا شداد بن سعيد حدثنا غيلان ابن جرير عن مطرف قال : قلنا للزبير يا أبا عبد الله ما جاءكم ؟ صعم الخليفة الذي قتل ثم جثمتم تطلبون بدمه ؟

فقال الزبير رضى الله عنه : إنا قرأنا على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم (واتفقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) لم نكن نحسب أنها أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت ، وقد رواه البزار من حديث مطرف عن الزبير وقال : لا نعرف مطرفا روى عن الزبير غير هذا الحديث ، وقد روى النسائي من حديث جرير بن حازم عن الحسن عن الزبير نحو هذا ، وقد روى ابن جرير حديث الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا مبارك بن فضالة عن الحسن قال : قال الزبير لقد خوفنا معنى قوله تعالى (واتفقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) ونحن مع رسول الله ﷺ وما ظننا أننا خصصنا بها خاصة وكذا رواه حميد عن الحسن عن الزبير رضى الله عنه وقال داود بن أبي هند عن الحسن في هذه الآية قال نزلت في طي وعمار وطلحة والزبير رضى الله عنهم ، وقال سفيان الثوري عن الصلت بن دينار عن عقبة بن صهبان سمعت الزبير يقول . لقد قرأت هذه الآية زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها (واتفقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب) وقد روى من غير وجه عن الزبير بن العوام ، وقال السدي : نزلت في أهل بدر خاصة فأصابهم يوم الجمل فاقتلوا ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى (واتفقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) يعنى أصحاب النبي ﷺ خاصة . وقال في رواية له عن ابن عباس في تفسير هذه الآية أمر الله المؤمنين أن لا يقرؤا النسكر بين ظهرانيهم فيعصمهم الله بالعذاب ، وهذا تفسير حسن جداً ، ولهذا قال مجاهد في قوله تعالى (واتفقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) هي أيضاً لكم ، وكذا قال الضحاك وي زيد بن أبي حبيب ، وغير واحد ، وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا وهو مشتمل على فتنة إن الله تعالى يقول (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) فأبكم استعاذ فليستعذ بالله من مضلات الفتن رواه ابن جرير ، والقول بأن هذا التحذير يعم الصحابة وغيرهم وإن كان الخطاب بهم هو الصحيح ، ويدل عليه الأحاديث الواردة في التحذير من الفتن ، ولذلك كتاب مستقل يوضح فيه إن شاء الله تعالى كما فعله الأئمة وأوردوه بالتصنيف ، ومن أخص ما يذكر ههنا ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا أحمد بن الحجاج أخبرنا عبد الله يعنى ابن المبارك ، أنبأنا سيف بن أبي سليمان سمعت عدى بن عدى الكندي يقول ، حدثني مولى لنا أنه سمع جدي يعنى عدى بن عميرة يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله عز وجل لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا النسكر بين ظهرانيهم وهم قادرون على أن ينكروه فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله الخاصة والعامة » فيه رجل متهم ولم يخرجوه في الكتب الستة ولا واحد منهم والله أعلم (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا سليمان الهاشمي حدثنا إسماعيل يعنى ابن جعفر أخبرني عمرو بن أبي عمر عن عبد الله بن عبد الرحمن الأشهل عن حذيفة بن اليمان أن رسول الله ﷺ قال « واللذى نفسى بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقابا من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم » ورواه عن أبي سعيد عن إسماعيل بن جعفر وقال « أو ليعصن الله عليكم قومائم تدعونه فلا يستجيب لكم » . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الله بن نمير قال حدثنا زر بن حبيب الجهني حدثني أبو الرقاد قال : خرجت مع مولاى فدفعت إلى حذيفة وهو يقول : إن كان الرجل لبتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ فيصير مناققا ، وإنى لأسمعها من أحدكم في المقعد الواحد أربع مرات ، لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر ولتخاصن على الخير أو ليسحتكم الله جميعا بعذاب أوليؤمرن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم (حديث آخر) قال الإمام أحمد أيضا . حدثنا يحيى بن سعيد عن زكريا حدثنا عامر رضى الله عنه قال : سمعت النعمان بن بشير رضى الله عنه يخطب يقول - وأوما بأصبعيه إلى أذنه يقول : مثل القائم على حدود الله والواقع فيها واللدنه فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأصاب بعضهم أسفلها وأوعرها وشرها وأصاب بعضهم أعلاها فكان الذين في أسفلها إذا استقوا الماء مروا على من فوقهم فأذوم فقالوا لو خرقتنا في نصيبنا خرقتنا فاستقينا منه ولم نؤد من فوقنا : فإن تركوهم وأمرهم هلكوا جميعا وإن أخذوا على أيديهم نجوا جميعا . انفرد بإخراجه البخارى دون مسلم فرواه في الشركة والشهادات ، والترمدى في الفتن من غير وجه عن سليمان بن مهران الأعمش عن عامر بن شراحيل الشعبي به (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حسين حدثنا خلف بن خليفة عن ليث عن

علقمة بن مرثد عن المرور بن سويد عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا ظهرت المعاصي في أمتي عمهم الله بعذاب من عنده » فقلت يا رسول الله أما فيهم أناس صالحون قال « بلى » قالت فكيف يصنع أولئك ؟ قال « يصيبهم ما أصاب الناس ثم يصيرون إلى مغفرة من الله ورضوان » .
 (حديث آخر) قال الإمام أحمد حدثنا حجاج بن محمد حدثنا شريك عن أبي إسحق عن المنذر بن جرير عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما من قوم يعملون بالمعاصي وفيهم رجل أعز منهم وأمنع لا يغيره إلا عمهم الله بعقاب أو أصابهم العقاب » ورواه أبو داود عن مسدد عن أبي الأحوص عن أبي إسحق به : وقال الإمام أحمد أيضاً حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة سمعت أبا إسحق يحدث عن عبيد الله بن جرير عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز وأكثر ممن يعملون ثم لم يغيروه إلا عمهم الله بعقاب » ثم رواه أيضاً عن وكيع عن إسرائيل ، وعن عبد الرزاق عن معمر وعن أسود عن شريك ويونس كلهم عن أبي إسحق السيبعي به وأخرجه ابن ماجه عن علي بن محمد عن وكيع به وقال الإمام أحمد حدثنا سفيان حدثنا جامع بن أبي راشد عن منذر عن الحسن بن محمد عن امرأته عن عائشة تبلغ به النبي ﷺ « إذا ظهر السوء في الأرض أنزل الله بأهل الأرض بأسه » فقلت وفيهم أهل طاعة الله ؟ قال « نعم ثم يصيرون إلى رحمة الله » .

﴿ **وَإِذْ كُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَثَوَّيْكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** ﴾

ينبه تعالى عباده المؤمنين على نعمه عليهم ، وإحسانه إليهم ، حيث كانوا قليلين فكثروهم ومستضعفين خائفين فقواهم ونصرهم ، وقراء عالة فرزقهم من الطيبات واستشكرهم فأطاعوه وامتثلوا جميع ما أمرهم . وهذا كان حال المؤمنين حال مقامهم بمكة قليلين مستضعفين مضطهدين يخافون أن يتخطفهم الناس من سائر بلاد الله من مشرك ومجوسى وروحي كلهم أعداء لهم لفلتهم وعدم قوتهم ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى أذن الله لهم في الهجرة إلى المدينة فأواهم إليها وقبض لهم أهلها آووا ونصروا يوم بدر وغيره وواسوا بأموالهم وبدلوا مهجهم في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم قال قتادة بن دعامة السدوسى رحمه الله في قوله تعالى (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض) قال كان هذا الحى من العرب أذل الناس ذلاً ، وأشقاء عيشاً . وأجوعه بطونا ، وأعره جلودا وأبينه ضللاً ، من عاش منهم عاش شقياً ومن مات منهم ردى في النار يؤكلون ولا يأكلون والله مانعهم قبيلاً من حاضر أهل الأرض يومئذ كانوا أشد منزلاً منهم حتى جاء الله بالإسلام فمكن به في البلاد ووسع به في الرزق وجعلهم به ملوكا على رقاب الناس وبالإسلام أعطى الله ما رأيتهم فاشكروا الله على نعمه فان ربكم منعم يحب الشكر ، وأهل الشكر في مزيد من الله

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمْنِيَكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ * وَأَعْلَمُوا أَنَّ أَمْوَالَكُمْ وَأَوْلَادَكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ** ﴾

قال عبد الرزاق بن أبي قتادة والزهرى أنزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر حين بعثه رسول الله ﷺ إلى بني قريظة لينزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستشاروه في ذلك فأشار عليهم بذلك وأشار بيده إلى حلقة أى إنه الذبح ، ثم فطن أبو لبابة ورأى أنه قد خان الله ورسوله فحلف لا يدوق دواقا حتى يموت أو يتوب الله عليه وانطلق إلى مسجد المدينة فربط نفسه في سارية منه فمكث كذلك تسعة أيام حتى كان يخر مغشياً عليه من الجهد حتى أنزل الله توبته على رسوله فجاء الناس يبشرونه بتوبة الله عليه وأرادوا أن يحلوه من السارية فحلف لا يحلها منها إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده فحله ، فقال يا رسول الله : إنى كنت ندرت أن أنخلع من مالى صدقة فقال (يجزيك

الثالث أن تصدق به . وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا بونس بن الحارث الطائفي حدثنا محمد بن عبد الله بن عون الثقفي عن المغيرة بن شعبة قال نزلت هذه الآية في قتل عثمان رضي الله عنه (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول) الآية

وقال ابن جرير أيضا حدثنا القاسم بن بشر بن معروف حدثنا شابة بن سوار حدثنا محمد بن المحرم قال لقيت عطاء ابن أبي رباح فحدثني قال حدثني جابر بن عبد الله أن أبا سفيان خرج من مكة فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن أبا سفيان بمكان كذا وكذا ، فقال رسول الله ﷺ « إن أبا سفيان في موضع كذا وكذا فاخرجوا إليه واكتموا » فكتب رجل من المنافقين إليه إن محمدا يريدكم فخذوا حذرکم فأنزل الله عز وجل (لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم) الآية ، هذا حديث غريب جدا وفي سنده وسياقه نظر وفي الصحيحين قصة حاطب ابن أبي بلتعة أنه كتب إلى قريش يعلمهم بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم عام الفتح فأطلع الله رسوله على ذلك فبعث في إثر الكتاب فاسترجعه واستحضر حاطبا فأقر بما صنع ، وفيها قيام عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله : ألا أضرب عنقه فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين ؟ فقال « دعه فإنه قد شهد بدرا وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم » قلت والصحيح أن الآية عامة وإن صح أنها وردت على سبب خاص فالأخذ بعموم اللفظ لا بخصوص السبب عند الجماهير من العلماء . والحياة تعم الذنوب الصغار والكبار اللازمة والمتعدية . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وتخونوا أماناتكم) الأمانة الأعمال التي ائتمن الله عليها العباد يعني الفريضة يقول لا تخونوا لا تقضوها وقال في رواية لا تخونوا الله والرسول يقول بترك سنته وارتكاب معصيته وقال محمد بن إسحق حدثني محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في هذه الآية أي لا تظهروا له من الحق ما يرضى به منكم ثم مخالفة في السر إلى غيره فإن ذلك هلاك لأماناتكم ، وخيانة لأنفسكم . وقال السدي : إذا خانوا الله والرسول فقد خانوا أماناتهم . وقال أيضا كانوا يسمعون من النبي صلى الله عليه وسلم الحديث فيفشونه حتى يبلغ المشركين ، وقال عبد الرحمن بن زيد أنها كم أن تخونوا الله والرسول كما صنع المنافقون ، وقوله (واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة) أي اختبار وامتحان منه لكم إذ أعطاكموها ليعلم أشكرونها عليها وتطيعونها فيها أو تشتغلون بها عنه وتعتاضون بها منه كما قال تعالى (إنما أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم) وقال (ونبلوكم بالشر والحير فتنة) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تلهيكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون) وقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاخذروهم) الآية ، وقوله (وأن الله عنده أجر عظيم) أي ثوابه وعطاؤه وجناته خير لكم من الأموال والأولاد فإنه قد يوجد منهم عدو ، وأكثرهم لا يفي عنك شيئا ، والله سبحانه هو المتصرف المالك للدنيا والآخرة ولديه الثواب الجزيل يوم القيامة . وفي الأثر يقول الله تعالى : يا ابن آدم اطلبني تجدني فإن وجدتني وجدت كل شيء ، وإن فتك فانتك كل شيء ، وأنا أحب إليك من كل شيء ، وفي الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قل « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا الله ، ومن كان أن يلقى في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه » بل حب رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدم على الأولاد والأموال والنفوس كما ثبت في الصحيح أنه ﷺ قال « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وأهله وماله والناس أجمعين »

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾

قال ابن عباس والسدي ومحاهد وعكرمة والضحاك وقنادة ومقاتل بن حيان وغير واحد (فرقانا) مخرجا ، زاد مجاهد في الدنيا والآخرة ، وفي رواية عن ابن عباس (فرقانا) حياة ، وفي رواية عنه نصيرا وقال محمد بن إسحق (فرقانا) أي

فصلا بين الحق والباطل وهذا التفسير من ابن إسحق أعم مما تقدم وهو يستلزم ذلك كله فان من اتقى الله جعل أومره وترك زواجره وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبب نصره ونجاته ومخرجه من أمور الدنيا وسعادته يوم القيامة وتكفير ذنوبه وهو محوها ، وغفرها سترها عن الناس وسببا لئيل ثواب الله الجزيل كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به ويفرلکم والله غفور رحيم)

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ ﴾

قال ابن عباس ومجاهد وقتادة (ليثبوتك) ليقيدوك ، وقال عطاء وابن زيد . ليحبسوك ، وقال السدي الاثبات هو الحبس والوثاق وهذا يشمل ما قاله هؤلاء وهؤلاء وهو مجمع الأقوال وهو الغالب من صنيع من أراد غيره بسوء ، وقال سنيذ عن حجاج عن ابن جريج قال عطاء سمعت عبيد بن عمير يقول : لما ائتمروا بالنبي ﷺ ليثبوه أو يقتلوه أو يخرجوه . قال له عمه أبوطالب هل تدري ما ائتمروا بك ؟ قال « يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني » فقال من أخبرك بهذا ؟ قال « ربي » قال نعم الرب ربك استوص به خيرا . قال « أنا أستوصي به بل هو يستوصي بي » وقال أبو جعفر بن جريز حدثني محمد بن إسماعيل المصري المعروف بالسواصي أخبرنا عبد الحميد بن أبي داود عن ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن المطلب بن أبي وداعة أن أباطالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يأتربك قومك ؟ قال « يريدون أن يسجنوني أو يقتلوني أو يخرجوني » فقال من أخبرك بهذا قال « ربي » قال نعم الرب ربك فاستوص به خيرا . قال « أنا أستوصي به بل هو يستوصي بي » قال فزلت (وإذ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ) الآية وذكر أبي طالب في هذا غريب جدا بل منكر لأن هذه الآية مدنية ، ثم إن هذه القصة واجتماع قريش على هذا الاثمار والمشاورة على الاثبات أو النفي أو القتل إنما كان ليلة الهجرة سواء وكان ذلك بعد موت أبي طالب بنحو من ثلاث سنين لما تمكنوا منه واجتروا عليه بسبب موت عمه أبي طالب الذي كان يحوطه وينصره ويقوم بأعبائه والدليل على صحة ما قلنا ما روى الإمام محمد بن إسحق بن يسار صاحب الغازي عن عبد الله بن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس قال : وحدثني الكلبي عن باذان مولى أم هانئ عن ابن عباس أن نفرا من قريش من أشرف كل قبيلة اجتمعوا ليدخلوا دار الندوة فاعترضهم إبليس في صورة شيخ جليل فلما رأوه قالوا له من أنت ؟ قال شيخ من أهل نجد سمعت أنكم اجتمعتم فأردت أن أحضركم ولن يعدمكم رأيي ونصحي : قالوا أجل ادخل فدخل معهم فقال انظروا في شأن هذا الرجل والله ليوشكن أن يواطبكم في أمركم بأمره . فقال قائل منهم احبسوه في وثاق ثم تربصوا به ريب اللنون حتى يهلك كماهلك من كان قبله من الشعراء زهير والناطقة إنما هو كأحدهم . قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدي فقال والله ما هذا لكم برأى والله ليخرجنه ربه من محبسه إلى أصحابه فليوشكن أن يثبوا عليه حتى يأخذوه من أيديكم فيجمعوه منكم فما آمن عليكم أن يخرجوكم من بلادكم . قالوا صدق الشيخ فانظروا في غير هذا . قال قائل منهم أخرجوه من بين أظهركم فتستريحوا منه فإنه إذا خرج لن يضركم ما صنع وأين وقع إذا غاب عنكم أذاه واسترحم وكان أمره في غيركم . فقال الشيخ النجدي والله ما هذا لكم برأى ألمتروا حلالة قوله . وطلاقة لسانه . وأخذ القلوب ما تسمع من حديثه ؟ والله لئن فعلتم ثم استعرض العرب ليجتمعن عليه ثم ليأتين اليكم حتى يخرجكم من بلادكم ويقتل أشرافكم . قالوا صدق والله فانظروا رأيا غير هذا . قال : فقال أبوجهل لعنه الله : والله لأشدين عليكم برأى ما أراكم أبصرتموه بعد لأرى غيره ، قالوا وما هو ؟ قال تأخذون من كل قبيلة غلاما شابا وسيطا نهذا ثم يعطى كل غلام منهم سيفا صارما ثم يضربونه ضربة رجل واحد فإذا قتلوه تفرق دمه في القبائل كلها فما أظن هذا الحى من بي هاشم يقوون على حرب قريش كلها . فإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل واسترحنا وقطعنا عنا أذاه . قال : فقال الشيخ النجدي هذا والله الرأي القول ما قال الفتى لا أرى غيره . قال ففترقوا على ذلك وهم مجمعون له . فأتى جبريل النبي ﷺ فأمره أن لا يبيت في مضجعه

الذي كان يبيت فيه وأخبره بمكر القوم فلم يبت رسول الله ﷺ في بيته تلك الليلة وأذن الله له عند ذلك بالخروج وأنزل الله عليه بعد قدومه المدينة الأنفال يذكر نعمه عليه وبلاءه عنده (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) وأنزل في قولهم تربصوا به ريب النون حتى يهلك كما هلك من كان قبله من الشعراء (أم يقولون شاعر تربص به ريب النون) فكان ذلك اليوم يسمى يوم الرحمة للذي اجتمعوا عليه من الرأى ، وعن السدى نحو هذا السياق وأنزل الله في إرادتهم إخراج قوله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافاً إلا قليلاً) وكذا روى العوفي عن ابن عباس وروى عن مجاهد وعروة بن الزبير وموسى بن عقبة وقتادة ومقسم وغير واحد نحو ذلك ، وقال يونس بن بكير عن ابن إسحق فأقام رسول الله ﷺ ينتظر أمر الله حتى إذا اجتمعت قريش فمكرت به وأرادوا به ما أرادوا أتاه جبريل عليه السلام فأمره أن لا يبيت في مكانه الذي كان يبيت فيه فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب فأمره أن يبيت على فراشه ويتسجى يرد له أخضر ففعل ثم خرج رسول الله ﷺ على القوم وهم على بابه وخرج معه بحفنة من تراب فجعل يذرها على رءوسهم وأخذ الله بأبصارهم عن نبيه محمد ﷺ وهو يقرأ (يس والقرآن الحكيم - إلى قوله - فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وقال الحافظ أبو بكر البيهقي : روى عن عكرمة ما يؤكد هذا ، وقد روى ابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من حديث عبد الله بن عثمان ابن خثيم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال دخلت فاطمة على رسول الله ﷺ وهي تبكي فقال « ما يبكيك يا بنية ؟ » قالت يا أبت وما لي لا أبكي وهؤلاء اللأ من قريش في الحجر يتعاهدون باللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى لو قدر أوك لقاموا إليك فيقتلونك وليس منهم إلا من قد عرف نصيبه من دمك فقال « يا بنية اتنى بوضوء » فتوضأ رسول الله ﷺ ثم خرج إلى المسجد فلما رأوه قالوا ها هو ذا فطأطأوا رءوسهم وسقطت رقابهم بين أيديهم فلم يرفعوا أبصارهم فتناول رسول الله ﷺ قبضة من تراب فحصبهم بها وقال « شاهدت الوجوه » فما أصاب رجلاً منهم حصاة من حصياته إلا قتل يوم بدر كافراً ، ثم قال الحاكم صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ولا أعرف له علة . وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر أخبرني عثمان الجريري عن مقسم مولى ابن عباس أخبره ابن عباس في قوله (وإذ يمكر بك) الآية قال تشاورت قريش ليلة بمكة فقال بعضهم إذا أصبح فأثبتوه بالوثاق يريدون النبي ﷺ وقال بعضهم بل اقتلوه وقال بعضهم بل أخرجوه فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك فبات على رضى الله عنه على فراش رسول الله ﷺ وخرج النبي ﷺ حتى لحق بالغار وبات المشركون يحرسون علياً يحسونه ﷺ فلما أصبحوا ثاروا إليه فلما رأوا علياً رد الله تعالى مكرهم فقالوا أين صاحبك هذا ؟ قال لا أدري فاقصوا أنه فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم فصعدوا في الجبل فمروا بالغار فرأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخل ههنا لم يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاث ليال ، وقال محمد بن إسحق عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة بن الزبير في قوله (ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين) أى فمكرت بهم بكيدى المتين حتى خلصتك منهم .

﴿ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ أُنزِلْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنْ سَمَاءٍ مَعْدِنَةٍ إِنَّنَا نَمُنُّ بِمَا نُنزِلُ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾

يخبر تعالى عن كفر قريش وعتوهم وعمردهم وعنادهم ودعواهم الباطل عند سماع آياته إذا تتلى عليهم أنهم يقولون (قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا) وهذا منهم قول بلا فعل وإلا فقد تحدوا غير ما مرة أن يأتوا بسورة من مثله

فلا يجدون إلا ذلك سبيلا وإنما هذا القول منهم يزعمون به أنفسهم ومن تبعهم على باطلهم ، وقد قيل إن القائل لذلك هو النضر بن الحارث لعنه الله كما قد نص على ذلك سعيد بن جبير والسدي وابن جريج وغيرهم فإنه لعنه الله كان قد ذهب إلى بلاد فارس وتعلم من أخبار ملوكهم رستم واسفنديار ، ولما قدم وجد رسول الله ﷺ قد بعثه الله وهو يتأول على الناس القرآن فكان عليه الصلاة والسلام إذا قام من مجلس جلس فيه النضر فحدثهم من أخبار أولئك ثم يقول بالله أينما أحسن قصصا أنا أو محمد ؟ ولهذا لما أمكن الله تعالى منه يوم بدر ووقع في الأسارى أمر رسول الله ﷺ أن تضرب رقبة صبرا بين يديه ففعل ذلك والله الحمد ، وكان الذي أسره المقداد بن الأسود رضی الله عنه كما قال ابن جرير حدثنا محمد بن بشار حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي بشر عن سعيد بن جبير قال قتل النبي ﷺ يوم بدر صبرا عقبه بن أبي معيط وطعيمة بن عدى والنضر بن الحارث وكان المقداد أسر النضر فلما أمر بقتله قال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله ﷺ إنه كان يقول في كتاب الله عز وجل ما يقول فأمر رسول الله ﷺ بقتله فقال المقداد يا رسول الله أسيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم أغن المقداد من فضلك » فقال المقداد هذا الذي أردت قال وفيه أنزلت هذه الآية (وإذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا إن هذا إلا أساطير الأولين) وكذا رواه هشيم عن أبي بشر جعفر بن أبي دحية عن سعيد بن جبير أنه قال المظعم بن عدى بدل طعيمة وهو غلط لأن المظعم بن عدى لم يكن حيا يوم بدر ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ لو كان المظعم بن عدى حيا ثم سألتني في هؤلاء الثنني لو هبتم له يعني الأسارى لأنه كان قد أجاز رسول الله ﷺ يوم رجع من الطائف ، ومعنى (أساطير الأولين) وهو جمع أسطورة أي كتبهم اقتبسها فهو يتعلم منها ويتأولها على الناس وهذا هو الكذب البحت كما أخبر الله عنهم في الآية الأخرى (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا * قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان خفورا رحما) أي لمن تاب إليه وأتاب فإنه يتقبل منه ويصفح عنه ، وقوله (وإذا قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) هذا من كثرة جهلهم وشدة تكذيبهم وعنادهم وعتوهم ، وهذا مما عيىبوا به وكان الأولى لهم أن يقولوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له ووقفنا لاتباعه ولكن استفتحوا على أنفسهم واستعجلوا العذاب ، وتفديم العقوبة كقوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتة وهم لا يشعرون) (وقالوا ربنا عجل لنا قنابل الحسب) وقوله (سألت سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذى العارجل) وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة كما قال قوم شعيب له (فأسقط علينا كسفا من السماء إن كنت من الصادقين) وقال هؤلاء (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) قال شعبة عن عبد الحميد صاحب الزبادى عن أنس بن مالك قال هو أبو جهل بن هشام قال (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) فنزلت (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) رواه البخارى عن أحمد ومحمد بن النضر كلاهما عن عبيد الله بن معاذ عن أبيه عن شعبة به وأحمد هذا هو أحمد ابن النضر بن عبد الوهاب قاله الحاكم أبو أحمد والحاكم أبو عبد الله النيسابورى والله أعلم وقال الأعمش عن رجل عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس في قوله (وإذا قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم) قال هو النضر بن الحارث بن كلدة قال : فأنزل الله (سألت سائل بعذاب واقع * للكافرين ليس له دافع) وكذا قال مجاهد وعطاء وسعيد بن جبير والسدي إنه النضر بن الحارث زاد عطاء فقال الله تعالى (وقالوا ربنا عجل لنا قنابل قبل يوم الحساب) وقال (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقتنا أول مرة) وقال (سألت سائل بعذاب واقع للكافرين) قال عطاء ولقد أنزل الله فيه بضع عشرة آية من كتاب الله عز وجل وقال ابن مردويه حدثنا محمد بن إبراهيم حدثنا الحسن ابن أحمد بن الليث حدثنا أبو عسان حدثنا أبو نميلة حدثنا الحسين عن ابن بريدة عن أبيه قال : رأيت عمرو بن العاص واقفا يوم أحد طى فرس وهو يقول : اللهم إن كان ما يقول محمد حقا فاحسب بى وبفرسى . وقال قتادة في قوله (وإذا قالوا

اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك (الآية قال : قال ذلك سفهة هذه الأمة وجهلتها فماد الله بعائته ورحمته على سفهة هذه الأمة وجهلتها وقوله تعالى (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو حذيفة موسى بن مسعود حدثنا عكرمة بن عمار عن أبي زميل سهاك الحنفي عن ابن عباس قال كان الشركون يطوفون بالبيت ويقولون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، لبيك لا شريك لك . ويقولون غفرانك غفرانك ويقولون : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك ، إلا شريك هو لك ، تملكه وما ملك . ويقولون غفرانك غفرانك فأنزل الله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية قال ابن عباس كان فيهم أمانان النبي صلى الله عليه وسلم والاستغفار فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقي الاستغفار . وقال ابن جرير حدثني الحارث حدثني عبد العزيز حدثنا أبو معشر عن يزيد بن رومان ومحمد بن قيس قالا : قالت قریش بعضها لبعض محمداً كرمه الله من بيننا (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك) الآية فلما أمسوا ندموا على ما قالوا فقالوا غفرانك اللهم . فأنزل الله (وما كان الله معذبهم - إلى قوله - ولكن أكثرهم لا يعلمون) وقال قال طي بن أبي طلحة عن ابن عباس (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) يقول ما كان الله ليعذب قوماً وأنبياءهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان وهو الاستغفار يستغفرون يعنى يصلون بهذا أهل مكة وروى عن مجاهد وعكرمة وعطية العوفي وسعيد بن جبير والسدي نحو ذلك . وقال الضحاك وأبو مالك (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يعنى المؤمنين الذين كانوا بمكة وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الغفار بن داود حدثنا النضر بن عدى قال : قال ابن عباس إن الله جعل في هذه الأمة أمانين لا يزالون معصومين مجارين من قوارع العذاب مادام بين أظهرهم فأمان قبضه الله اليه وأمان بقى فيكم قوله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) وقال أبو صالح عبد الغفار حدثني بعض أصحابنا أن النضر بن عدى حدثه هذا الحديث عن مجاهد عن ابن عباس . وروى ابن مردويه وابن جرير عن أبي موسى الأشعري نحوه من هذا وكذا روى عن قتادة وأبي العلاء النحوي المقرئ . وقال الترمذي حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا ابن نمير عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ « أنزل الله على أمانين لأمتي (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة » ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد في مسنده والحاكم في مستدرکه من حديث عبد الله بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أن رسول الله ﷺ قال « إن الشيطان قال وعزتك يارب لأبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب وعزتي وجلالي لأزال أغفر لهم ما استغفروني » ثم قال الحاكم صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال الإمام أحمد حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا راشد هو ابن سعد حدثني معاوية بن سعد التميمي عن حدثه عن فضالة بن عبيد عن النبي ﷺ أنه قال « العبد آمن من عذاب الله ما استغفر الله عز وجل »

﴿ وَمَا لَهُمْ إِلَّا يَعْتَدِبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾

يخبر تعالى أنهم أهل لأن يعذبهم ولكن لم يوقع ذلك بهم لبركة مقام الرسول ﷺ بين أظهرهم ولهذا لما خرج من بين أظهرهم أوقع الله بهم بأسه يوم بدر فقتل صناديدهم وأسرى سراتهم وأرشدهم تعالى إلى الاستغفار من الذنوب التي هم متلبسون بها من الشرك والفساد . وقال قتادة والسدي وغيرها لم يكن القوم يستغفرون ولو كانوا يستغفرون ما عذبوا . واختاره ابن جرير فلولا ما كان بين أظهرهم من المستضعفين من المؤمنين المستغفرين لوقع بهم البأس الذي لا يرد ولكن دفع عنهم بسبب أولئك كما قال تعالى في يوم الحديبية (الذين كفروا وصدوكم عن

المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطوهم فتصيبكم منهم معرفة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً . قال ابن جرير : حدثنا ابن حميد حدثنا يعقوب عن جعفر بن أبي المغيرة عن ابن أبيزى قال كان النبي ﷺ بمكة فأنزل الله (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) قال فخرج النبي ﷺ إلى المدينة فأنزل الله (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) قال وكان أولئك البقية من المسلمين الذين بقوا فيها مستضعفين يعني بمكة (يستغفرون) فلما خرجوا أنزل الله (وما لهم أن لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه) قال فأذن الله في فتح مكة فهو العذاب الذي وعدهم . وروى عن ابن عباس وأبي مالك والضحاك وغير واحد نحو هذا ، وقد قيل إن هذه الآية ناسخة لقوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) على أن يكون المراد صدور الاستغفار منهم أنفسهم قال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح عن الحسين بن واقد عن يزيد النحوي عن عكرمة والحسن البصري قال : قال في الأنفال (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فنسخها الآية التي تليها (وما لهم ألا يعذبهم الله - إلى قوله - فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) فقاتلوا بمكة فأصابهم فيها الجوع والضر ، وكذا رواه ابن أبي حاتم من حديث أبي نيملة يحيى بن واضح . وقال ابن أبي حاتم حدثنا الحسن بن محمد بن الصباح حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج وعثمان بن عطاء عن عطاء عن ابن عباس (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ثم استثنى أهل الشرك فقال (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام) وقوله (وما لهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون) أي وكيف لا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام أي الذي بمكة يصدون المؤمنين الذين هم أهلهم عن الصلاة فيه والطواف به ، ولهذا قال (وما كانوا أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون) أي هم ليسوا أهل المسجد الحرام وإنما أهل النبي ﷺ وأصحابه كما قال تعالى (ما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) وقال تعالى (وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام وإخراج أهله منه أكبر عند الله) الآية . وقال الحافظ أبو بكر بن مردويه في تفسير هذه الآية : حدثنا سليمان بن أحمد هو الطبراني حدثنا جعفر بن الياس بن صدقة المصري حدثنا نعيم بن حماد حدثنا نوح بن أبي مريم عن يحيى بن سعيد الأنصاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : سئل رسول الله ﷺ من أولياؤه ؟ قال « كل تقى » وتلا رسول الله ﷺ (إن أولياؤه إلا المتقون) . وقال الحاكم في مستدركه : حدثنا أبو بكر الشافعي حدثنا إسحاق بن الحسن حدثنا أبو حذيفة حدثنا سفيان عن عبد الله بن خيثم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن جده قال : جمع رسول الله ﷺ قريشا فقال « هل فيكم من غيركم ؟ » فقالوا فينا ابن أختنا وفينا حليفنا وفينا مولانا فقال « حليفنا منا وابن أختنا منا ومولانا منا إن أولياؤه منكم المتقون » ثم قال هذا صحيح ولم يخرجاه وقال عروة والسدي ومحمد بن إسحاق في قوله تعالى (إن أولياؤه إلا المتقون) قال هم محمد ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم . وقال مجاهد هم المجاهدون من كانوا وحيث كانوا ، ثم ذكر تعالى ما كانوا يعتمدونه عند المسجد الحرام وما كانوا يعاملونه به فقال (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال عبد الله بن عمرو وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وأبوجراء الطاردي ومحمد بن كعب القرظي وحجر بن عنبس ونبيط بن شريط وقتادة وعبد الرحمن ابن زيد بن أسلم : هو الصفيير وزاد مجاهد وكانوا يدخلون أصابعهم في أفواههم وقال السدي المسكاء الصفيير على نحو طير أبيض يقال له المسكاء ويكون بأرض الحجاز (وتصدية) قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبوخلاد سليمان بن خلاد حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا يعقوب يعني ابن عبد الله الأشعري حدثنا جعفر بن المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال كانت قريش تطوف بالبيت عراة تصفر وتصفق ، والمسكاء الصفيير

والتصدية التصفيق ، وهكذا روى علي بن أبي طلحة والعمري عن ابن عباس ، وكذا روى عن ابن عمر ومجاهد ومحمد بن كعب وأبي سلمة بن عبد الرحمن والضحاك وقتادة وعطية العمري وحجر بن عبدس وابن أبي نجيح نحو هذا ، وقال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا أبو عامر حدثنا قرة عن عطية عن ابن عمر في قوله (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) قال المكاء الصفيق والتصدية التصفيق قال قرة وحكي لنا عطية فعل ابن عمر فصفر ابن عمر وأمال خده وصفق يديه ، وعن ابن عمر أيضاً أنه قال إنهم كانوا يضعون خدودهم على الأرض ويصفقون ويصفقون رواه ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عنه . وقال عكرمة كانوا يطوفون بالبيت على الشمال قال مجاهد وإنما كانوا يصنعون ذلك ليخلطوا بذلك على النبي ﷺ صلواته ، وقال الزهري يستهزئون بالمؤمنين ، وعن سعيد بن جبير وعبد الرحمن بن زيد (وتصدية) قال صدقهم الناس عن سبيل الله عز وجل . قوله (فدوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) قال الضحاك وابن جرير ومحمد بن إسحاق هو ما أصابهم يوم بدر من القتل والسبي ، واخاره ابن جرير ولم يحك غيره ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا ابن أبي عمير حدثنا سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال عذاب أهل الاقرار بالسيف وعذاب أهل التكذيب بالصيحة والزلزلة .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ * لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿

قال محمد بن إسحاق حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمر بن قتادة والحسين بن عبد الرحمن بن عمرو ابن سعيد بن معاذ قالوا لما أصيبت قريش يوم بدر ورجع فلهم إلى مكة ورجع أبو سفيان بعيره مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في رحال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم وإخوانهم بيدركموا أناسفان ابن حرب ومن كانت له في تلك العير من قريش تجارة فقلوا يا معشر قريش إن محمدا قد وترككم وقتل خياركم ، فأعينونا بهذا المال على حربه لعلنا أن ندرك منه ثاراً بمن أصيب منا ففعلوا قال ففهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله عز وجل (إن الذين كفروا ينفقون أموالهم إلى فوله - هم الخاسرون) وكذا روى عن مجاهد وسعيد بن جبير والحكم ابن عيينة وقتادة والسدي وابن أبي نجيح أنها نزلت في أبي سفيان ونفقته الأموال في أحد لقتال رسول الله ﷺ ، وقال الضحاك : نزلت في أهل بدر وعلى كل تقدير فهي عامة ، وإن كان سبب نزولها خاصاً فقد أخبر تعالى أن الكفار ينفقون أموالهم ليدوا عن اتباع طريق الحق فسيعلون ذلك ثم تذهب أموالهم ثم تكون عليهم حسرة أي ندامة حيث لم نجد شيئاً لأنهم أرادوا إطفاء نور الله وظهور كلمهم على كلمة الحق والله متم نوره ولو كره الكافرون وناصر دينه ومعلن كلمته ومظهر دينه على كل دين فهذا الخزي لهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار فمن عاش منهم رأى بعينه وسمع بأذنه ما يسوءه ، ومن قتل منهم أو مات فإلى الخزي الأبدي والعذاب السرمدي ، ولهذا قال (فيسنفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون ، والذين كفروا إلى جهنم يحشرون) وقوله تعالى (ليميز الله الخبيث من الطيب) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (ليميز الله الخبيث من الطيب) فيميز أهل السعادة من أهل الشقاء ، وقال السدي يميز المؤمن من الكافر ، وهذا يحتمل أن يكون هذا التمييز في الآخرة كقوله (ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فوزيلنا بينهم) الآية وقوله (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) وقال في الآية الأخرى (يومئذ يصدعون) وقال تعالى (وامتازوا اليوم أيها المجرمون) ويحتمل أن يكون هذا التمييز في الدنيا بما يظهر من أعمالهم للمؤمنين ، وتكون اللام معللة لما جعل الله للكافرين من مال ينفقونه في الصد عن سبيل الله أي إنما أقدرناهم على ذلك (ليميز الله الخبيث من الطيب) أي من يطيعه بقتال أعدائه الكافرين ، أو يعصيه بالنكول عن ذلك كقوله (وما أصابكم يوم التقى الجمعان فيأذن الله

وليعلم المؤمنين وليعلم الذين ناققوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لا تبغناكم (الآية وقال تعالى (ما كما الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب) الآية وقال تعالى (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين) ونظيرتها في براءة أيضا فمعنى الآية على هذا إنما ابتليناكم بالكفار يقاتلونكم وأقدرناهم على إنفاق الأموال وبدلها في ذلك (ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه) أى يجمعه كله وهو جمع الشيء بعضه على بعض كما قال تعالى في السحاب (ثم يجعله ركاما) أى متراكما متراكبا (فيجعله في جهنم أولئك هم الخاسرون) أى هؤلاء هم الخاسرون في الدنيا والآخرة

﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّبِعُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنَّ لَنتَهُوَ فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نَعِمَ الْمَوْلَى وَنَعِمَ النَّصِيرُ ﴿

يقول تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل للذين كفروا إن يتنخوا) أى عما هم فيه من الكفر والمشاقة والعدا ويدخلوا في الإسلام والطاعة والانابة يغفر لهم ما قد سلف أى من كفرهم ، وذنوبهم وخطاياهم كما جاء في الصحيح من حديث أبى وائل عن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من أحسن في الإسلام لم يؤاخذ بما عمل في الجاهلية ، ومن أساء في الإسلام أخذ بالأول والآخر » وفي الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال الإسلام يجب ما قبله والتوبة تجب ما كان قبلها « وفوله (وإن يعودوا) أى يستمروا على ما هم فيه (فقد مضت سنة الأولين) أى فقد مضت سنتنا في الأولين أنهم إذا كذبوا واستمروا على عنادهم إنا نعالجهم بالعذاب والعقوبة . قال مجاهد في قوله (فقد مضت سنة الأولين) أى في قريش يوم بدر وغيرها من الأمم ، وقال السدى ومحمد بن إسحق أى يوم بدر وقوله تعالى (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال البخارى حدثنا الحسن بن عبد العزيز حدثنا عبد الله بن يحيى حدثنا حيوة بن شريح عن بكر بن عمر عن بكر بن نافع عن ابن عمر أن رجلا جاء فقال : يا أبا عبد الرحمن ألا تصنع ما ذكر الله في كتابه (وإن طائفتين من المؤمنين اقتتلوا) الآية فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه ؟ فقال : يا ابن أخى أعير بهذا الآية ولا أفاتل أحب إلى من أن أعير بالآية التى يقول الله عز وجل (ومن يقتل مؤمنا متعمدا) إلى آخر الآية قال : فان الله تعالى يقول (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) قال ابن عمر قد فعلنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان الإسلام قليلا وكان الرجل يفتن في دينه إما أن يقتلوه وإما أن يوتقوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة ، فلما رأى أنه لا يوافقها فيما يريد قال فما قولكم فى على وعثمان ؟ قال ابن عمر أما قولى فى على وعثمان أما عثمان فكان الله قد عفا عنه وكرهتم أن يعفو الله عنه ، وأما على فابن عم رسول الله ﷺ وختنه وأشار بيده وهذه ابنته أو بنته حيث ترون ، وحدثنا أحمد بن يونس حدثنا زهير حدثنا بيان أن ابن وبرة حدثه قال حدثنى سعيد بن جبيرة قال : خرج علينا أو إلينا ابن عمر رضى الله عنهما فقال كيف ترى فى قتال الفتنة ؟ فقال : وهل تدري ما الفتنة ؟ كان محمد ﷺ يقاتل المشركين وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم على الملك . هذا كله سياق البخارى رحمه الله تعالى وقال عبيد الله عن نافع عن ابن عمر أنه أتاه رجلا فى فتنة ابن الزبير فقالا : ان الناس قد صنعوا ما ترى وأنت ابن عمر بن الخطاب وأنت صاحب رسول الله ﷺ فما يمنعك أن تخرج ؟ قال يمنعنى أن الله حرم على دم أخى المسلم . قالوا أو لم يقل الله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ؟ قال قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله . وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله . وكذا روى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن أيوب

ابن عبد الله اللخمي قال كنت عند عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فأتاه رجل فقال إن الله يقول (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) قال قد قاتلنا حتى لم تسكن فتنة وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله . وكذا رواه عماد بن سلمة فقال ابن عمر قاتلت أنا وأصحابي حتى كان الدين كله لله ، وذهب الشرك ولم تكن فتنة ولكنك وأصحابك تقاتلون حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله رواها ابن مردويه . وقال أبو عوانة عن الأعمش عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال : قال ذوالبطين يعنى أسامة بن زيد لأقاتل رجلا يقول لإله إلا الله أبدا . فقال سعد بن مالك وأنا والله لأقاتل رجلا يقول لإله إلا الله أبدا فقال رجل ألم يقل الله (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ؟) فقالا قد قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين كله لله . رواه ابن مردويه ، وقال الضحاك عن ابن عباس (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) يعنى لا يكون شرك ، وكذا قال أبو العالية ومجاهد والحسن وقناة والربيع ابن أنس والسدى ومقاتل بن حيان وزيد بن أسلم ، وقال محمد بن إسحق بلغنى عن الزهري عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا حتى لا تكون فتنة حتى لا يفتن مسلم عن دينه . وقوله (ويكون الدين كله لله) قال الضحاك عن ابن عباس في هذه الآية قال يخلص التوحيد لله ، وقال الحسن وقناة وابن جريج (ويكون الدين كله لله) أن يقال لإله إلا الله وقال محمد بن إسحق ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك ويخلص مادونه من الأنداد .

وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (ويكون الدين كله لله) لا يكون مع دينكم كفر ويشهد لهذا ما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ أنه قال « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل » وفيها عن أبي موسى الأشعري قال سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله عز وجل ؟ فقال « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله عز وجل » .

وقوله (فإن انهوا) أى بقتالكم عمائم فيه من الكفر فكفوا عنه وإن لم تعلموا بواطنهم (فإن الله بما يعملون بصير) كقوله (فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم) الآية وفى الآية الأخرى (فإخوانكم فى الدين) وقال (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) وفى الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لأسامة لما عسا ذلك الرجل بالسيف فقال لإله إلا الله فضربه فقتله فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال لأسامة « أفنلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ وكيف تصنع بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ » فقال يارسول الله إنما قالها تعوذا قال « هلا شققت عن قلبه ؟ » وحمل يقول ويكرر عليه « من لك بلا إله إلا الله يوم القيامة ؟ » قال أسامة حتى تمنيت أنى لم أكن أسلمت إلا يومئذ وقوله (وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير) أى وإن استمروا على خلافكم ومحاربتكم فاعلموا أن الله مولاكم سيديكم وناصركم على أعدائكم فنعى المولى ونعم النصير . وقال محمد جرير حدثني عبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي حدثنا أبان العطار حدثنا هشام بن عروة عن عروة أن عبد الملك بن مروان كتب إليه يسأله عن أشياء فكتب إليه عروة : سلام عليك فإني أحمد اليك الله الذى لا إله إلا هو . أما بعد فإنك كتبت إلى تسألني عن مخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة وسأخبرك به ولا حول ولا قوة إلا بالله كان من شأن خروج رسول الله ﷺ من مكة أن الله أعطاه النبوة فنعم النبي ونعم السيد ونعم العشيرة فجزاه الله خيرا وعرفنا وجهه فى الجنة وأحيانا على ملته وأمانتنا وبعثنا عليها وأنه لما دعا قومه لما بعثه الله به من الهدى والنور الذى أنزل عليه لم يبعثوا منه أول مداعم اليه وكانوا يسمعون له حتى إذا ذكر طواغيتهم وقدم ناس من الطائف من قريش لهم أموال أنكر ذلك عليه ناس واشتدوا عليه وكرهوا ما قال وأغروا به من أطاعهم فأنعطف عنه عامة الناس فتركوه إلا من حفظه الله منهم وهم قليل فكث بذلك ما قدر الله أن يمكث ثم اثتمرت رءوسهم بأن يفتنوا من اتبعه عن دين الله من أبنائهم وإخوانهم وقبائلهم فكانت فتنة شديدة الزلزال فافتن من افتن وعصم الله ماشاء منهم فلما فعل ذلك بالمسلمين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخرجوا إلى أرض الحبشة وكان بالحبشة ملك

صالح يقال له النجاشي لا يظلم أحد بأرضه وكان يثني عليه مع ذلك وكانت أرض الحبشة متجرا لقريش يتجرون فيها وكانت مساكن لتجارهم يجدون فيها رفاضا من الرزق وأمنا ومتجرا حسنا فأمرهم بها النبي ﷺ فذهب إليها عامتهم لما قهرها بمكة وخافوا عليهم الفتن ومكث هو فلم يبرح فكث بذلك سنوات يشتدون على من أسلم منهم ثم إنه فشا الإسلام فيها ودخل فيه رجال من أشرفهم ومنعتهم فلما رأوا ذلك استرخوا استرخاء عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه وكانت الفتنة الأولى هي التي أخرجت من خرج من أصحاب رسول الله ﷺ قبل أرض الحبشة مخافتها وفرارا مما كانوا فيه من الفتن والزوال فلما استرخى عنهم ودخل في الإسلام من دخل منهم تحدث باسترخائهم عنهم فبلغ من كان بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله ﷺ أنه قد استرخى عنهم كان منهم بمكة وأنهم لا يفتنون فرجعوا إلى مكة وكادوا يأمنون بها وجعلوا يزدادون ويكثرون وأنه أسلم من الأنصار بالمدينة ناس كثير وفشا الإسلام بالمدينة وطفق أهل المدينة يأتون رسول الله ﷺ بمكة فلما رأت قريش ذلك توامروا على أن يفتنوه ويشتدوا فأخذوهم فحرصوا على أن يفتنوه فأصابهم جهد شديد فكانت الفتنة الآخرة فكانت فتنتان فتنة أخرجت من خرج منهم إلى أرض الحبشة حين أمرهم النبي ﷺ بها وأذن لهم في الخروج إليها وفتنة لما رجعوا ورأوا من يأتهم من أهل المدينة ثم إنه جاء رسول الله ﷺ من المدينة سبعون نقيبا رؤوس الدين أساموا فوافوه بالحج فبايعوه بالعقبة وأعطوه عهودهم ومواثيقهم على أنا منك وأنت منا وعلى أن من جاء من أصحابك أو جئنا فإننا نمنعك مما تمنع منه أنفسنا فاشتدت عليهم قريش عند ذلك فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يخرجوا إلى المدينة وهي الفتنة الآخرة التي أخرج فيها رسول الله ﷺ أصحابه وخرج هو . وهي التي أنزل الله عز وجل فيها (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله) ثم رواه عن نونس بن عبد الأعلى عن ابن وهب عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه عن عروة بن الزبير أنه كتب إلى الوليد يعني ابن عبد الملك بن مروان بهذا فذكر مثله وهذا صحيح إلى عروة رحمه الله .

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمْسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَالَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ ءَامَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقِيهِ الْإِجْمَاعِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾

يبين تعالى تفصيل ما شرعه محضاً لهذه الأمة الشريفة من بين سائر الأمم المتقدمة باحلال الغنائم . والغنيمة هي المال المأخوذ من الكفار بإجفاف الحيل والركاب ، والفىء ما أخذ منهم بغير ذلك كالأموال التي يصالحون عليها أو يتوفون عنها ولا وارث لهم والجزية والخراج ونحو ذلك هذا مذهب الإمام الشافعي في طائفة من علماء السلف والخلف ، ومن العلماء من يطلق الفىء على ما تطاق عليه الغنيمة وبالعكس أيضا ، ولهذا ذهب قتادة إلى أن هذه الآية ناسخة لآية الجسر (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذي القربى) الآية قال فنسخت آية الأنفال تلك وجعلت الغنائم أربعة أخماس للمجاهدين وخمسا منها لهؤلاء المذكورين ، وهذا الذي قاله بعيد لأن هذه الآية نزلت بعد وقعة بدر وتلك نزلت في بني النضير ولا خلاف بين علماء السير والمغازي فاطبة أن بني النضير بعد بدر وهذا أمر لا يشك فيه ولا يرتاب فمن يفرق بين معنى الفىء والغنيمة يقول تلك نزلت في أموال الفىء وهذه في الغنائم ومن يجعل أمر الغنائم والفىء راجعا إلى رأى الإمام يقول لامنافاة بين آية الجسر وبين التخمس إذا رآه الإمام والله أعلم . فقوله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة) تؤكد لتخمس كل قليل وكثير حتى الحيط والمحيط قال الله تعالى (ومن يغفل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) وقوله (فإن لله خمسة وللرسول) اختلف المفسرون ههنا فقال بعضهم لله نصيب من الخمس يجعل في الكعبة . قال أبو جعفر الرازي عن الربيع عن أبي العالية الرياحي : قال كان رسول الله ﷺ يؤتى بالغنيمة فيخمسها على خمسة تكون أربعة أخماس لمن شهدا ثم يأخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه الذي قبض كفله فيجعله للكعبة وهو سهم الله ثم يقسم ما بقى على خمسة أسهم فيكون سهم للرسول وسهم لذي القربى وسهم لليتامى

وسهم للمساكين وسهم لابن السبيل ؛ وقال آخرون ذكر الله ههنا استفتاح كلام للتبرك وسهم لرسوله عليه السلام قال الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما كان رسول الله ﷺ إذا بعث سرية فغنموا خمس الغنيمة فضرب ذلك الخمس في خمسة ثم قرأ (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول) فان لله خمسة مفتاح كلام (لله ما في السموات وما في الأرض) فجعل سهم الله وسهم الرسول صلى الله عليه وسلم واحدا وهكذا قال إبراهيم النخعي والحسن بن محمد بن الحنفية والحسن البصرى والشعبي وعطاء بن أبي رباح وعبد الله بن بريدة وقتادة ومغيرة وغير واحد أن سهم الله ورسوله واحد ويؤيد هذا ما رواه الإمام الحافظ أبو بكر البيهقي بإسناد صحيح عن عبد الله بن شقيق عن رجل قال أتيت النبي ﷺ وهو بوادى القرى وهو يعرض فرساً فقالت يا رسول الله ما تقول في الغنيمة ؟ فقال « لله خمسها وأربعة أخماسها للجيش » قلت فما أحد أولى به من أحد ؟ قال « لا ولا سهم تستخرجه من جيبيك ليس أنت أحق به من أخيك المسلم »

وقال ابن جرير : حدثنا عمران بن موسى حدثنا عبد الوارث حدثنا أبان عن الحسن قال أوصى الحسن بالخمس من ماله وقال ألا أرضى من مالى بما رضى الله لنفسه ثم اختلف قائلو هذا القول فروى على بن أبي طلحة عن ابن عباس قال : كانت الغنيمة تخمس على خمسة أخماس فأربعة منها بين من قاتل عليها وخمس واحد يقسم على أربعة أخماس فربح لله وللرسول ﷺ فما كان لله وللرسول فهو لقرابة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يأخذ النبي ﷺ من الخمس شيئاً ، وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو معمر المقرئ حدثنا عبد الوارث بن سعيد عن حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة في قوله (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول) قال الذى لله فله لله والذى للرسول لأزواجه وقال عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء بن أبي رباح قال خمس الله والرسول واحد يحمل منه ويصنع فيه ماشاء يعنى النبي ﷺ وهذا أعم وأشمل وهو أنه صلى الله عليه وسلم يتصرف فى الخمس الذى جعله الله له بما شاء ويرده فى أمته كيف شاء ، ويشهد لهذا ما رواه الإمام أحمد حيث قال : حدثنا إسحاق بن عيسى حدثنا إسماعيل بن عياش عن أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم عن أبي سلام الأعرج عن المقدم بن معديكرب الكندى أنه جلس مع عبادة ابن الصامت وأبي الدرداء والحارث بن معاوية الكندى رضى الله عنهم فتذاكروا حديث رسول الله ﷺ فقال أبو الدرداء لعبادة يا عبادة كلمات رسول الله ﷺ فى غزوة كذا وكذا فى شأن الأخماس فقال عبادة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى بهم فى غزوة إلى بغير من الغنم فلما سلم قام رسول الله ﷺ فتناول وبرة بين أظفاريه فقال « إن هذه من غنائمكم وإنه ليس لى فيها إلا نصيبى معكم الخمس والخمس مردود عليكم فأدوا الحيط والحيط وأكبر من ذلك وأصغر ولا تغفلوا فان الغلول عارونار على أصحابه فى الدنيا والآخرة وجاهدوا الناس فى الله القريب والبعيد ولا تبالوا فى الله لومة لائم وأقيموا حدود الله فى السفر والحضر وجاهدوا فى الله فان الجهاد باب من أبواب الجنة عظيم ينجى الله به من الهم والغم » هذا حديث حسن عظيم ولم أره فى شيء من الكتب الستة من هذا الوجه ولكن روى الإمام أحمد أيضاً وأبو داود والنسائى من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عبد الله بن عمرو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه فى قصة الخمس والنهى عن الغلول . وعن عمرو بن عبسة أن رسول الله ﷺ صلى بهم إلى بغير من الغنم فلما سلم أخذ وبرة من هذا البعير ثم قال « ولا يحل لى من غنائمكم مثل هذه إلا الخمس والخمس مردود عليكم » رواه أبو داود والنسائى ، وقد كان للنبي صلى الله عليه وسلم من الغنائم شيء يصطفيه لنفسه عبد أو أمة أو فرس أو سيف أو نحو ذلك كما نص عليه محمد بن سيرين وعامر الشعبي وتبعهما على ذلك أكثر العلماء . وروى الإمام أحمد والترمذى وحسنه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد ، وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت صفية من الصنفى رواه أبو داود فى سننه وروى أيضاً بإسناده والنسائى أيضاً عن يزيد بن عبد الله قال : كنا بالمربد إذ دخل رجل معه قطعة أديم فقرأناها فإذا فيها « من محمد رسول الله إلى بى زهير بن أقيش إنكم إن شهدتم أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله

وأقيم الصلاة وآتيتم الزكاة وأديتم الخمس من المغن وسهم النبي ﷺ وسهم الصفي أتم آمنون بأمان الله ورسوله « فقلنا من كتبك هذا ؟ فقال رسول الله ﷺ فهذه أحاديث جيدة تدل على تقرير هذا وثبوته ولهذا جعل ذلك كثيرون من الخصائص له صلوات الله وسلامه عليه ، وقال آخرون : إن الخمس يتصرف فيه الإمام بالمصلحة للمسلمين كما يتصرف في مال الفيء وقال شيخنا الإمام العلامة ابن تيمية رحمه الله وهذا قول مالك وأكثر السلف وهو أصح الأقوال . فإذا ثبت هذا وعلم فقد اختلف أيضاً في الذي كان يناله عليه السلام من الخمس ماذا يصنع به من بعده فقال قائلون يكون لمن يلي الأمر من بعده روى هذا عن أبي بكر وعلى وقتادة وجماعة . وجاء فيه حديث مرفوع وقال آخرون يصرف في مصالح المسلمين وقال آخرون بل هو مردود على بقية الأصناف ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل اختاره ابن جرير وقال آخرون بل سهم النبي ﷺ وسهم ذوى القربى مردودان على اليتامى والمساكين وابن السبيل . قال ابن جرير وذلك قول جماعة من أهل العراق ، وقيل إن الخمس جمعيه لنوى القربى كما رواه ابن جرير حدثنا الحارث حدثنا عبد العزيز حدثنا عبد الغفار حدثنا المنهال بن عمرو سألت عبد الله ابن محمد بن علي وعلى بن الحسين عن الخمس فقالوا : هو لنا فقلت لعلي فان الله يقول (واليتامى والمساكين وابن السبيل) فقالا يتامانا ومساكينا ، وقال سفيان الثوري وأبو نعيم وأبو أسامة عن قيس بن مسلم سألت الحسن بن محمد بن الحنفية رحمه الله تعالى عن قول الله تعالى (واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول) فقال هذا مفتاح كلام الله الدنيا والآخرة ثم اختلف الناس في هذين السهمين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قائلون : سهم النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً^(١) للخليفة من بعده . وقال آخرون لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وقال آخرون سهم القرابة لقراءة الخليفة ، واجتمع رأيهم أن يجعلوا هذين السهمين في الحيل والعدة في سبيل الله فكانا على ذلك في خلافة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما قال الأعمش عن إبراهيم كان أبو بكر وعمر يجعلان سهم النبي ﷺ في الكراع والسلاح فقلت لإبراهيم ما كان علي يقول فيه ؟ قال : كان أشدهم فيه وهذا قول طائفة كثيرة من العلماء رحمهم الله ، وأما سهم ذوى القربى فانه يصرف إلى بني هاشم وبني المطلب لأن بني المطلب وازروا بني هاشم في الجاهلية وفي أول الإسلام ودخلوا معهم في الشعب غضبا لرسول الله ﷺ وحماية له مساهم طاعة لله ولرسوله وكافرهم حمية للعشيرة وأنفة وطاعة لأبي طالب عم رسول الله ﷺ وأما بنو عبد شمس وبنو نوفل ، وإن كانوا بني عمهم فلم يوافقهم على ذلك بل حاربهم وناذبهم ومالوا بطون قريش على حرب الرسول ولهذا كان ذم أبي طالب لهم في قصيدته اللامية أشد من غيرهم لشدة قريشهم ولهذا يقول في أثناء قصيدته

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا * عقوبة شر عاجل غير آجل * بميزان قسط لا يخيس شعيرة

له شاهد من نفسه غير عائل * لقد سفهت أحلام قوم تبدلوا * بني خلف قبضنا والعياطل

ونحن الصميم من ذؤابة هاشم * وآل قصي في الخطوب الأوائل

وقال جبير بن مطعم بن عدى بن نوفل مشيت أنا وعثمان بن عفان يعني ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس إلى رسول الله ﷺ فقلنا يا رسول الله أعطيت بني المطلب من خمس خير وتركتنا ونحن وهم منك بمنزلة واحدة فقال « إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد » رواه مسلم^(٢) وفي بعض روايات هذا الحديث « إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام » وهذا قول جمهور العلماء أنهم بنو هاشم وبنو المطلب . قال ابن جرير وقال آخرون هم بنو هاشم ثم روى عن خصيف عن مجاهد قال : علم الله أن في بني هاشم قراء فجعل لهم الخمس مكان الصدقة ، وفي رواية عنه قال هم قرابة رسول الله ﷺ الذين لا تحمل لهم الصدقة ثم روى عن علي بن الحسين نحو ذلك قال ابن جرير وقال آخرون بل هم قريش كلها حدثني يونس بن عبد الأعلى حدثني عبد الله بن نافع عن أبي معشر عن سعيد المقبري قال كتب نبذة إلى عبد الله بن عباس يسأله عن ذوى القربى فكتب إليه ابن عباس كذا تقول : إنهم فأبى علينا ذلك قومنا وقالوا قريش كلها ذوو قريش وهذا الحديث صحيح رواه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي من حديث سعيد المقبري عن يزيد بن هرمز

(١) كذا في الأصول أي يسلم تسليماً . (٢) كذا في جميع النسخ وإنما رواه البخاري في عدة أبواب قليلة فهو سهو أو سبق قلم من المؤلف .

أن نجدة كتب إلى ابن عباس يسأله عن ذوى القربى فذكره إلى قوله فأبى ذلك علينا قومنا والزيادة من أفراد أبى معشر نجیح بن عبدالرحمن المدنى وفيه ضعف ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصى حدثنا المعتمر ابن سلمان عن أبيه عن حنش عن عكرمة عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « رغبت لكم عن غسله الأيدي لأن لكم من خمس الخمس ما يغنيكم أو يكفيكم » هذا حديث حسن الإسناد وإبراهيم بن مهدي هذا وثقه أبو حاتم ، وقال يحيى بن معين يابى بمنأى كبير والله أعلم ، وقوله (واليتامى) أى أيتام المسلمين واختلف العلماء هل يختص بالأيتام الفقراء أو يعم الأغنياء والفقراء ؟ على قولين ، والمسكين هم المحاويج الذين لا يجدون ما يسد خلتهم ومسكنتهم (وابن السبيل) هو المسافر أو المرید للسفر إلى مسافة تقصر فيها الصلاة وليس له ما ينفقه في سفره ذلك وسيأتى تفسير ذلك في آية الصدقات من سورة براءة إن شاء الله تعالى وبه الثقة وعليه التكلان

وقوله (إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا) أى امتثلوا ما شرعنا لكم من الخمس في الغنائم إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وما أنزل على رسوله : ولهذا جاء في الصحيحين من حديث عبدالله بن عباس في حديث وفد عبد القيس أن رسول الله ﷺ قال لهم « وأمركم بأربع وأنها كم عن أربع . أمركم بالإيمان بالله - ثم قال - هل تدرون ما الإيمان بالله ؟ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا الخمس من الغنم » الحديث بطوله فجعل أداء الخمس من جملة الإيمان ، وقد بوب البخارى على ذلك في كتاب الإيمان من صحيحه فقال « باب أداء الخمس من الإيمان » ثم أورد حديث ابن عباس هذا ، وقد بسطنا الكلام عليه في شرح البخارى والله الحمد والمنة ، وقال مقاتل بن حيان (وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان) أى في القسمة وقوله (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير) ينبه تعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه بما فرق به بين الحق والباطل بيدر ، ويسمى الفرقان لأن الله ألقى فيه كلمة الإيمان على كلمة الباطل وأظهر دينه ونصر نبيه وحزبه ، قال على بن أبى طلحة والعمري عن ابن عباس : يوم الفرقان يوم بدر ، فرق الله فيه بين الحق والباطل رواه الحاكم . وكذا قال مجاهد ومقسم وعبيد الله بن عبد الله والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنه يوم بدر ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عروة بن الزبير في قوله (يوم الفرقان) يوم فرق الله بين الحق والباطل ، وهو يوم بدر ، وهو أول مشهد شهده رسول الله ﷺ ، وكان رأس المشركين عتبة بن ربيعة فالتقوا يوم الجمعة لتسع عشرة أو سبع عشرة مضت من رمضان وأصحاب رسول الله ﷺ يومئذ ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا والمشركون ما بين الألف والتسعمائة فهزم الله المشركين وقتل منهم زيادة على السبعين وأسر منهم مثل ذلك ، وقد روى الحاكم في مستدركه من حديث الأعمش عن إبراهيم عن الأسود عن ابن مسعود قال في ليلة القدر : تحروها لإحدى عشرة يمين فإن في صيحتها يوم بدر وقال على شرطهما ، وروى مثله عن عبد الله بن الزبير أيضا من حديث جعفر بن برقان عن رجل عنه وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا يحيى بن واضح حدثنا يحيى بن يعقوب أبو طالب عن ابن عون عن محمد بن عبدالله الثقفي عن أبى عبد الرحمن السلمى قال : قال الحسن بن علي كانت ليلة الفرقان يوم التقى الجمعان لسبع عشرة من رمضان ، إسناد جيد قوى ورواه ابن مردويه عن أبى عبدالرحمن عبدالله بن حبيب عن علي قال : كانت ليلة الفرقان ليلة التقى الجمعان في صيحتها ليلة الجمعة لسبع عشرة مضت من شهر رمضان ، وهو الصحيح عند أهل المغازى والسير وقال يزيد بن أبى حبيب إمام أهل الديار المصرية في زمانه : كان يوم بدر يوم الاثنين ولم يتابع على هذا وقول الجمهور مقدم عليه والله أعلم

﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَا خْتَفْتُمْ فِي السِّعْدِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْتِنَا وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَن بَيْتِنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن يوم الفرقان (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) أى إذ أنتم نزول بعدوة الوادى الدنيا القريبة إلى المدينة (وهم) أى المشركون نزول (بالعدوة القصوى) أى البعيدة من المدينة إلى ناحية مكة (والركب) أى العير الذى فيه

أبوسفيان بمامعه من النجارة (أسفل منكم) أي مما يلي سيف البحر (ولو تواعدتم) أي أنتم والمشركون إلى مكان (لاختلفتم في اليعاد) قال محمد بن إسحق وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه في هذه الآية قال ولو كان ذلك عن ميعاد منكم ومنهم ثم بلغكم كثرة عددهم وقلة عددكم ما لقيتموهم (ولكن ليقضى الله أمرا كان مفعولا) أي ليقضى الله ما أراد بقدرته من إعزاز الاسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله من غير ملائمتكم ففعل ما أراد من ذلك بلطفه ، وفي حديث كعب بن مالك قال إنما خرج رسول الله ﷺ والمسامون يريدون غير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ، وقال ابن جرير حدثني يعقوب حدثني بن علي بن ابن عون عن عمير بن إسحق قال : أقبل أبو سفيان في الركب من الشام وخرج أبو جهل ليمتعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فالتقوا بيدر ولا يشعر هؤلاء هؤلاء ولا هؤلاء هؤلاء حتى التقى السقاة ونهد الناس بعضهم لبعض ، وقال محمد بن إسحق في السيرة ومضى رسول الله ﷺ على وجهه ذلك حتى إذا كان قريبا من الصفراء بعث بسبس بن عمرو وعدى ابن أبي الزغباء الجهنين يلتصقان الخبر عن أبي سفيان فانطلقا حتى إذا وردا بدرأ فأناخا بعيرهما إلى تل من البطحاء فاستقيا في شن لهما من الماء فسمعا جاريتين يختصمان تقول إحداهما لصاحبتها اقضيني حتى ، وتقول الأخرى إما تأت العير غدا أو بعد غد فأقضيك حثك فخاص بينهما مجدى بن عمرو وقال صدقت فسمع بذلك بسبس وعدى فجلسا على بعيرهما حتى أتيا رسول الله ﷺ فأخراه الخبر وأقبل أبو سفيان حين وليا وقد حذر فتقدم أمام عيره وقال لمجدي بن عمرو هل أحسست على هذا الماء من أحد تنكره ؟ فقال لا والله إلا أني قد رأيت راكبين أناخا إلى هذا التل فاستقيا من شن لهما ثم انطلقا فجاء أبو سفيان إلى مناخ بعيرهما فأخذ من أبعارهما ففته فإذا فيه النوى فقال هذه والله علائف يثرب ، ثم رجع سريعا فضرب وجهه عيره فانطلق بها فساحل حتى إذا رأى أنه قد أحرز عيره بعث إلى قريش فقال : إن الله قد نجى عيركم وأموالكم ورجالكم فارجعوا : فقال أبو جهل والله لا نرجع حتى نأتي بدرأ . وكانت بدر سواقا من أسواق العرب . فنقم بها ثلاثا فنظفم بها الطعام ونحمر بها الجزر ونسقى بها الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب ويمسيرنا فلا يزالون يهابونا بعدها أبدا . فقال الأحنس بن شريق : يا معشر بني زهرة إن الله قد أنجى أموالكم ونجى صاحبكم فارجعوا فأطاعوه فرجعت بنو زهرة فلم يشهدوها ولا بنو عدى . قال محمد بن إسحق وحدثني يزيد بن رومان عن عروة بن الزبير قال : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دنا من بدر على بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص والزبير بن العوام في نفر من أصحابه يتجسسون له الخبر فأصابوا سقاة لقريش غلاما لبني سعيد بن العاص وغلاما لبني الحجاج فأتوا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدوه يصلي فجعل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونهما لمن أنتم ؟ فيقولان نحن سقاة لقريش بعثونا نسقبهم من الماء فكره القوم خبرهما ، ورجوا أن يكونا لأبي سفيان فضربوها فلما أزلقوهما قالان نحن لأبي سفيان فتركوهما وركع رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجد سجدين ثم سلم وقال « إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما صدقا والله إنهما لقريش أخراني عن قريش » قالا هم وراء هذا الكتيب الذي ترى بالعدوة القصوى ، والكاتب : المنقل قال لهما رسول الله ﷺ « كم القوم ؟ » قالا كثير قال « ماعدتهم ؟ » قالا ما ندرى قال « كم يحرون كل يوم ؟ » قالا يوما تسعا ويوما عشرا قال رسول الله ﷺ « القوم ما بين التسعمائة إلى الألف » ثم قال لهما « فمن فيهم من أشرف قريش ؟ » قالا عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو البختري بن هشام وحكيم بن حزام ونوفل بن خويلد والحارث ابن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدى بن نوفل والنضر بن الحارث وزمعة بن الأسود وأبو جهل بن هشام وأميمة بن خلف ونبية ومنبه ابنا الحجاج وسهيل بن عمرو وعمرو بن عبد ود فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الناس فقال « هذه مكة قد ألفت إليكم أفلاذ كبدها » قال محمد بن إسحق رحمه الله تعالى وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن حزم أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم لما التقى الناس يوم بدر يارسول الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه وننسخ إليك ركائبك ، ونلقى عدونا فإن أظفرنا الله عليهم وأعزنا فذاك ما نحب وإن تكن الأخرى فتجلس

على ركائبك وتلحق بمن وراءنا من قومنا فقد والله نخلف عنك أقوام ما نحن بأشد لك جبا منهم لو علموا أنك تلتقي حرباً ما تخلفوا عنك ويوازرونك وينصرونك . فأتى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له به فبني له عرش فكان فيه رسول الله ﷺ وأبو بكر ما معهما غيرها . قال ابن إسحق وارتحلت قريش حين أصبحت فلما أقبلت وراها رسول الله ﷺ تصوب من العقنقل وهو الكتيب الذي جاءوا منه إلى الوادي فقال « اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم أحزم الغداة » وقوله (لهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة) قال محمد بن إسحق أى ليكفر من كفر بعد الحجة لما رأى من الآفة والعبرة ، ويؤمن من آمن على مثل ذلك وهذا تفسير جيد . وبسط ذلك أنه تعالى يقول إنما جمعكم مع عدوكم في مكان واحد على غير معاد لينصرم عليهم ويرفع كلمة الحق على الباطل ليصير الأمر ظاهراً والحجة قاطعة والبراهين ساطعة ولا يبقى لأحد حجة ولا شبهة فحينئذ يهلك من هلك أى يستمر في الكفر من استمر فيه على بصيرة من أمره إنه مبطل لقيام الحجة عليه (ويحيى من حي) أى يؤمن من آمن (عن بينة) أى حجة وبصيرة والإيمان هو حياة القلوب قال الله تعالى (أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس) وقالت عائشة في قصة الإفك فهلك فى من هلك أى قال فيها ما قال من البهتان والإفك وقوله (وإن الله لسميع) أى لدعائكم وتضرعكم واستغاثكم به (عليم) أى بكم وأنكم تستحقون النصر على أعدائكم الكفرة المعاندين .

﴿ إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتَهُمْ كَثِيرًا لَفَشَيْتُمْ وََلَنتَ زَعَمُ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّقِيمِ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَدِّمُكُمُ فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴾

قال مجاهد أراه الله إياه في منامه قليلاً وأخبر النبي ﷺ أصحابه بذلك فكان تثبتنا لهم ، وكذا قال ابن إسحق وغير واحد وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه رآهم بعينه التي ينام بها ، وقد روى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو قتبية عن سهل السراج عن الحسن في قوله (إذ يريكهم الله في منامك قليلاً) قال بعينك وهذا القول غريب ، وقد صرح بالتمام ههنا فلا حاجة إلى التأويل الذى لا دليل عليه وقوله (ولو أراكم كثيراً لفشتم) أى لجبتهم عنهم واختلفتم فيما بينكم (ولكن الله سلم) أى من ذلك بأن أراكم قليلاً (إنه عليم بذات الصدور) أى بما تجننه الضمائر وتنطوى عليه الأحشاء (يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور) وقوله (وإذ يريكموهم إذ التقيم في أعينكم قليلاً) وهذا أيضاً من لطفه تعالى بهم إذ أراهم إياهم قليلاً فى رأى العين فيجرؤهم عليهم ويطمعهم فيهم قال أبو إسحق السبيعي عن أبي عبيدة عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال لقد قللوا فى أعيننا يوم بدر حتى قلت لرجل إلى جنبي تراهم سبعين ؟ قال لا بل هم مائة حتى أخذنا رجلاً منهم فسألناه فقال كنا ألفاً رواه ابن أبي حاتم وابن جرير وقوله (ويقدمكم في أعينهم) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن زيد عن الزبير بن الحارث عن عكرمة (وإذ يريكموهم إذ التقيم) الآية قال حضض بعضهم على بعض إسناد صحيح وقال محمد بن إسحق حدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه فى قوله تعالى (ليقضى الله أمراً كان مفعولاً) أى ليلقى بينهم الحرب للنعمة ممن أراد الانتقام منه والانعام على من أراد تمام النعمة عليه من أهل ولايته ومعنى هذا أنه تعالى أغرى كلا من الفريقين بالآخر ، وقلله فى عينه ليطمع فيه وذلك عند المواجهة فلما التحم القتال وأيد الله المؤمنين بألف من الملائكة مردفين بقى حزب الكفار يرى حزب الإيمان ضعفيه كما قال تعالى (قد كان لكم آية فى فتنين التفاضلة قتال فى سبيل الله وأخرى كافتة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن فى ذلك لعبرة لأولى الأبصار) وهذا هو الجمع بين هاتين الآيتين فإن كلا منها حق وصدق والله الحمد والمنة

مُحِيطٌ * وَإِذْ زَيْنٌ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَ الْفِتْيَانَ
نَكَصَ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ * إِذْ
يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هُوَ لَاءُ دِينِهِمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى بعد أمره المؤمنين بالإخلاص في القتال في سبيله وكثرة ذكره ناهياً لهم عن التشبه بالمشركين في خروجهم من ديارهم بطراً أي دفعا للحق (ورثاء الناس) وهو الفاخرة والتكبر عليهم كما قال أبو جهل لما قيل له إن العير قد نجا فارجموا ، فقال لا والله لا نرجع حتى نرد ماء بدر ونحرق الجزر ونشرب الحمر وتعزف علينا القيان وتتحدث العرب بمكاننا فيها يوماً أبداً فانعكس ذلك عليه أجمع لأنهم لما وردوا ماء بدر وردوا به الحمام ، وركبوا في أطواء بدر مهانين أذلاء ، صغرة أشقياء في عذاب سرمدي أبدى ولهذا قال (والله بما يعملون محيط) أي عالم بما جاءوا به وله ، ولهذا جازاهم عليه شر الجزاء لهم . قال ابن عباس ومجاهد وقناة والضحاك والسدي في قوله تعالى (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس) قالوا هم المشركون الذين قاتلوا رسول الله ﷺ يوم بدر . وقال محمد بن كعب لما خرجت قريش من مكة إلى بدر خرجوا بالقيان والذوق فأنزل الله (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطراً ورثاء الناس ، ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط) وقوله تعالى (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم) الآية ، حسن لهم لعنه الله ما جاءوا له وما هموا به وأطمعهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس ونفى عنهم الحشية من أن يؤثروا في ديارهم من عدوهم بنى بكر فقال إني جار لكم ، وذلك أنه تبدى لهم في صورة سراقه بن مالك بن جعشم سيد بنى مدلج كبير تلك الناحية وكل ذلك منه كما قال تعالى عنه (يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً) قال ابن جرير قال ابن عباس في هذه الآية لما كان يوم بدر سار إبليس برأيه وجنوده مع المشركين وألقى في قلوب المشركين أن أحداً لن يغلبكم ، وإني جار لكم ، فلما التقوا ونظر الشيطان إلى إمداد الملائكة (نكص على عقبيه) قال رجع مدبراً وقال (إني أرى ما لا ترون) الآية وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قال . جاء إبليس يوم بدر في جند من الشياطين معه رأته في صورة رجل من بنى مدلج في صورة سراقه بن مالك بن جعشم فقال الشيطان للمشركين لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم ، فلما اصطفت الناس أخذ رسول الله ﷺ قبضة من التراب فرمى بها في وجوه المشركين فولوا مدبرين : وأقبل جبريل عليه السلام إلى إبليس ، فلما رآه وكانت يده في يد رجل من المشركين انزع يده ثم ولى مدبراً وشيعته فقال الرجل ياسراقه أتزعم أنك لنا جار فقال ، إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب وذلك حين رأى الملائكة وقال محمد بن إسحق حدثني السكلي عن أبي صالح عن ابن عباس أن إبليس خرج مع قريش في صورة سراقه بن مالك بن جعشم فلما حضر القتال ورأى الملائكة نكص على عقبيه وقال إني برىء منكم فتشبهت به الحارث ابن هشام فنخر في وجهه فخر صعقا فقبله ويلك ياسراقه على هذه الحال تخذلنا وتبرأ منا فقال إني برىء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب

وقال محمد بن عمر الواقدي أخبرني عمر بن عقبة عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس قال لما تواقف الناس أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم كشف عنه فبشر الناس بجبريل في جند من الملائكة ميمنة الناس ، وميكايل في جند آخر ميسرة الناس ، وإسرافيل في جند آخر ألف ، وإبليس قد تصور في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي يدبر المشركين ويخبرهم أنه لا غالب لهم اليوم من الناس فلما أبصر عدو الله الملائكة نكص على عقبيه وقال إني برىء منكم إني أرى ما لا ترون فتشبهت به الحارث بن هشام وهو يرى أنه سراقه لما سمع من كلامه فضرب في صدر الحارث فسقط الحارث وانطلق إبليس لا يرى حتى سقط في البحر ورفع ثوبه وقال يارب موعدك الذي وعدتني . وفي الطبراني عن رفاعة ابن رافع قريب من هذا السياق وأبسط منه ذكرناه في السيرة ، وقال محمد بن إسحق حدثني يزيد بن رومان عن عروة

ابن الزبير قال : لما أجمعت قريش المسير ذكرت الذي بينها وبين بني بكر من الحرب فكاد ذلك أن يشتمهم فتبدي لهم إبليس في صورة سراقه بن مالك بن جعشم المدلجي وكان من أشرف بني كنانة فقال أنا جار لكم أن تأتيكم كنانة بشيء تكرهونه فخرجوا سراعا ، قال محمد بن إسحق فذكر لي أنهم كانوا يرونه في كل منزل في صورة سراقه بن مالك لا ينكرونه حتى إذا كان يوم بدر والنقي الجمعان كان الذي رآه حين نكص الحارث بن هشام أو عمير بن وهب فقال أين سراقه ؟ أين وميل عدو الله فذهب قال فأوردتهم ثم أسلمهم ، قال ونظر عدو الله إلى جنود الله قدامه يد الله بهم رسوله والمؤمنين فنكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى مالاترون وصدق عدو الله وقال إني أخاف الله والله شديد العقاب ، وهكذا روى عن السدي والضحاك والحسن البصري ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم رحمهم الله ، وقال قتادة وذكر لنا أنه رأى جبريل عليه السلام تنزل معه الملائكة فعلم عدو الله أنه لا يدان له بالملائكة فقال إني أرى مالاترون إني أخاف الله وكذب عدو الله . والله ما به مخافة الله ولكن علم أنه لا قوة له ولا منعة وتلك عادة عدو الله لمن أطاعه واستفاد له حتى إذا التقي الحق والباطل أسلمهم شر مسلم وتبرأ منهم عند ذلك قلت يعني بعبادته لمن أطاعه قوله تعالى (فكل الشيطان إذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين) وقوله تعالى (وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أتم بمصرختي إني كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظالمين لهم عذاب أليم) وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق حدثني عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم عن بعض بني ساعدة قال : سمعت أبا أسيد مالك بن ربيعة بعدما كف بصره يقول : لو كنت معكم الآن يبدر ومعى بصرى لأخبرتكم بالشعب الذي خرجت منه الملائكة لا أشك ولا أتمارى فلما نزلت الملائكة ورآها إبليس وأوحى الله إليهم أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا ، وتثبيتهم أن الملائكة كانت تأتي الرجل في صورة الرجل يعرفه فيقول له أبشر فإنهم ليسوا بشيء والله معكم فكروا عليهم فلما رأى إبليس الملائكة نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى مالاترون وهو في صورة سراقه وأقبل أبو جهل يحضض أصحابه ويقول لا يهولنكم خذلان سراقه إياكم فإنه كان على موعد من محمد وأصحابه . ثم قال واللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمدا وأصحابه في الحبال فلا تقتلوهم وخذوهم أخذنا وهذا من أبي جهل لعنه الله كقول فرعون للسحرة لما أسلموا (إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها) وكقوله (إنه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهو من باب البهت والافتراء ، ولهذا كان أبو جهل فرعون هذه الأمة .

وقال مالك بن أنس عن إبراهيم بن أبي علي عن طلحة بن عبيد الله بن كريز أن رسول الله ﷺ قال « مارأى إبليس يوما هو فيه أصغر ولا أحقر ولا أدحر ولا أغيط من يوم عرفه وذلك بما يرى من نزول الرحمة والعمو عن الذنوب إلا مارأى يوم بدر » قالوا يارسول الله ومارأى يوم بدر ؟ قال « أما إنه رأى جبريل عليه السلام يزع الملائكة » هذا مرسل من هذا الوجه

وقوله (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في هذه الآية لما دنا القوم بعضهم من بعض قلل الله المسلمين في أعين المشركين ، وقلل المشركين في أعين المسلمين فقال المشركون غر هؤلاء دينهم وإنما قالوا ذلك من قلتهم في أعينهم فظنوا أنهم سيهزمونهم لا يشكون في ذلك فقال الله (ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم) وقال قتادة : رأوا عصابة من المؤمنين تشددت لأمر الله ، وذكر لنا أن أبا جهل عدو الله لما أشرف على محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال : والله لا يعبد الله بعد اليوم - قسوة وعتوا . وقال ابن جريج في قوله (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض) هم قوم كانوا من المنافقين بمكة قالوه يوم بدر ، وقال عامر الشعبي كان ناس من أهل مكة قد تكلموا بالاسلام فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم . وقال مجاهد في قوله عز وجل (إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم) قال فثمة من قريش قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة والحارث بن زمعة بن الأسود بن المطلب وعلی بن أمية بن خلف

والعاص بن منبه بن الحجاج خرجوا مع قريش من مكة وهم على الارتياب فحبسهم ارتيابهم ، فلما رأوا قلة أصحاب رسول الله ﷺ قالوا غر هؤلاء دينهم حتى قدموا على ما قدموا عليه مع قلة عددهم وكثرة عدوهم وهكذا قال محمد بن إسحاق بن يسار سواء . وقال ابن جرير حدثنا محمد بن عبد الأعلى حدثنا محمد بن ثور عن معمر عن الحسن في هذه الآية قال هم قوم لم يشهدوا القتال يوم بدر فسموا منافقين ، قال معمر وقال بعضهم هم قوم كانوا أقرؤا بالإسلام وهم بمكة فخرجوا مع المشركين يوم بدر فلما رأوا قلة المسلمين قالوا غر هؤلاء دينهم ، وقوله (ومن يتوكل على الله) أى يعتمد على جنابه (فإن الله عزيز) أى لا يضام من التجأ إليه فان الله عزيز منيع الجناب عظيم السلطان (حكيم) فى أفعاله لا يضعها إلا فى مواضعها ، فينصر من يستحق النصر ، ويخذل من هو أهل لذلك

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴾ *
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴿

يقول تعالى ولو عاينت يا محمد حال توفى الملائكة أرواح الكفار لرأيت أمراً عظيماً لا تفضيها منكرراً (إذ يضربون وجوههم وأدبارهم ويقولون لهم ذوقوا عذاب الحريق) . قال ابن جرير عن مجاهد (أدبارهم) أستاههم ، قال يوم بدر قال ابن جرير قال ابن عباس إذا أقبل المشركون بوجوههم إلى المسلمين ضربوا وجوههم بالسيوف وإذا ولوا أدركتهم الملائكة يضربون أدبارهم . وقال ابن أبي نجیح عن مجاهد فى قوله (إذ يتوفى الذين كفروا والملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) يوم بدر ، وقال وكيع عن سفيان الثورى عن أبى هاشم إسماعيل بن كثير عن مجاهد ، وعن شعبة عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبیر يضربون وجوههم وأدبارهم قال وأستاههم ولكن الله يكتفى وكذا قال عمر مولى عفرة . وعن الحسن البصرى قال : قال رجل يا رسول الله : إنى رأيت بظهر أبى جهل مثل الشوك ، قال « ذاك ضرب الملائكة » رواه ابن جرير وهو مرسل ، وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر ولكنه عام فى حق كل كافر ، ولهذا لم يخصه تعالى بأهل بدر بل قال تعالى (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم) وفى سورة القتال مثلها ، وتقدم فى سورة الأنعام قوله تعالى (ولو ترى إذ المجرمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسهم) أى باسطوا أيديهم بالضرب فيهم بأمر ربهم إذا استصعبت أنفسهم وامتنعت من الخروج من الأجساد أن تخرج قهراً وذلك إذا بشرهم بالعذاب والغضب من الله كما فى حديث البراء أن ملك الموت إذا جاء الكافر عند احتضاره فى تلك الصورة المنكرة يقول : اخرجى أيتها النفس الحيثة إلى سموم وحمم وظل من محموم فتتفرق فى بدنه فيستخرجونها من جسده كما يخرج السفود من الصوف المبلول فتخرج معها العروق والعصب ، ولهذا أخبر تعالى أن الملائكة تقول لهم ذوقوا عذاب الحريق ، وقوله تعالى (ذلك بما قدمت أيديكم) أى هذا الجزاء بسبب ما عملتم من الأعمال السيئة فى حياتكم الدنيا : جازاكم الله بها هذا الجزاء (وأن الله ليس بظلام للعبيد) أى لا يظلم أحداً من خلقه ، بل هو الحكم العدل الذى لا يجوز تبارك وتعالى وتقدس وتنزه الغنى الحميد ، ولهذا جاء فى الحديث الصحيح عن مسلم رحمه الله من رواية أبى ذر رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ إن الله تعالى يقول « يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا ، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلو من إلا نفسه » ولهذا قال تعالى

﴿ كَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِذْ بَدَأَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ *
يقول تعالى فعل هؤلاء من المشركين المكذبين بما أرسلت به يا محمد كما فعل الأمم المكذبة قبلهم ففعلنا بهم ما هو دأبنا أى عادتنا وسنتنا فى أمثالهم من المكذبين من آل فرعون ومن قبلهم من الأمم المكذبة بالرسول ، الكافرين بآيات الله (فأخذهم الله بذنوبهم) أى بسبب ذنوبهم أهلكتهم وأخذهم أخذ عزيز مقتدر (إن الله قوى شديد العقاب)

أى لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب

﴿ ذَلِكَ بَأْنِ اللَّهِ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ * كَذَّبَ آلُ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلًّا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿

يخبر تعالى عن تمام عدله وقسطه في حكمه بأنه تعالى لا يغير نعمة أنعمها على أحد إلا بسبب ذنب ارتكبه كقوله تعالى (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) وقوله (كذاب آل فرعون) أى كصنعه بآل فرعون وأمثالهم حين كذبوا بآياته أهلكتهم بسبب ذنوبهم وسلبهم تلك النعم التي أسداها إليهم من جنات وعيون وزروع وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ، وما ظاههم الله في ذلك بل كانوا هم الظالمين

﴿ إِن شَرَّ أَلْدَوَابِ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتْ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْفُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَإِنَّمَا تَتَّفَقَتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَن خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَدَّكُرُونَ ﴿

أخبر تعالى أن شر ما دب على وجه الأرض هم الذين كفروا فهم لا يؤمنون ، الذين كلما عاهدوا عهدا نقضوه وكلا أكدوه بالإيمان نكثوه (وهم لا يتقون) أى لا يخافون من الله في شيء ارتكبوه من الآثام (فيما تفتقنهم في الحرب) أى تلبسهم وتظفر بهم في حرب (فشردهم من خلفهم) أى نكل بهم قاله ابن عباس والحسن البصرى والضحاك والسدى وعطاء الخراسانى وابن عيينة ومعناه غلظ عقوبتهم وأتخنتهم قتلا ليخاف من سواهم من الأعداء من العرب وغيرهم ويصيروا لهم عبرة (لعلمهم يدكرون) وقال السدى يقول لعلمهم يحذرون أن ينكثوا فيصنع بهم مثل ذلك

﴿ وَإِنَّمَا تَخَافَنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةٌ فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنْ اللَّهُ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿

يقول تعالى لنبيه ﷺ (وإما تخافن من قوم) قد عاهدتهم (خيانة) أى تقضا لما بينك وبينهم من المواثيق والعهود (فانبذ إليهم) أى عهدهم على سواء أى أعلمهم بأنك قد نقضت عهدهم حتى يبقى علمك وعلمهم بأنك حرب لهم وهم حرب لك وأنه لا عهد بينك وبينهم على السواء ، أى تستوى أنت وهم في ذلك قال الراجز
فاضرب وجوه الغدر للأعداء * حتى يجيبوك إلى السواء

وعن الوليد بن مسلم أنه قال في قوله تعالى (فانبذ إليهم على سواء) أى على مهل (إن الله لا يحب الخائنين) أى حتى ولو في حق الكفار لا يحبها أيضا. قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي الفيض عن سليم بن عامر قال: كان معاوية يسير في أرض الروم وكان بينه وبينهم أمد فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر، الله أكبر وفاء لا غدرا إن رسول الله ﷺ قال « ومن كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضى أمدها أو ينبذ إليهم على سواء » قال فبلغ ذلك معاوية فرجع فإذا بالشيخ عمرو بن عبسة رضى الله عنه ، وهذا الحديث رواه أبو داود الطيالسى عن شعبة ، وأخرجه أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان في صحيحه من طرق عن شعبة به وقال الترمذى حسن صحيح . وقال الإمام أحمد أيضا حدثنا محمد بن عبد الله الزبيرى حدثنا إسرائيل عن عطاء بن السائب عن أبي البخترى عن سلمان يعنى الفارسى رضى الله عنه أنه انتهى إلى حصن أو مدينة فقال لأصحابه دعونى أدعوهم كما رأيت رسول الله ﷺ يدعوهم فقال إنما كنت رجلا منكم فهدانى الله عز وجل للإسلام فان أسلمتم فلکم مالنا وعليکم ما علينا ، وإن أبيتهم فأدوا الجزية وأتم صاغرون ، وإن أبيتهم نابذناکم على سواء (إن الله لا يحب الخائنين)

يفعل ذلك بهم ثلاثة أيام ، فلما كان اليوم الرابع غدا الناس إليها ففتحوها بعون الله
﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْزِزُونَ ﴾ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ
تُرَاهِبُونَ بِعَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّكُمْ وَآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُدْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
يُوفَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿

يقول تعالى لنبيه ﷺ (ولا تحسبن) يا محمد (الذين كفروا سبقوا) أى فاتونا فلا تقدر عليهم بل هم تحت
قهر قدرتنا وفى قبضة مشيئتنا فلا يعجزوننا كقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا ساء
ما يحكمون) أى يظنون وقوله تعالى (لا تحسبن الذين كفروا معجزين فى الأرض وماواهم النار ولبئس المصير) وقوله
تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد متاع قليل ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد) ثم أمر تعالى بإعداد آلات
الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والامكان والاستطاعة فقال (وأعدوا لهم ما استطعتم) أى مهما أمكنكم (من قوة ومن
رباط الخيل) قال الإمام أحمد : حدثنا هرون بن معروف حدثنا ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي علي ثمامة بن
شفي أخى عقبة بن عامر أنه سمع عقبة بن عامر يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر « (وأعدوا لهم ما استطعتم من
قوة) ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي » رواه مسلم عن هرون بن معروف وأبو داود عن سعيد بن منصور
وابن ماجه عن يونس بن عبد الأعلى ثلاثهم عن عبد الله بن وهب به . ولهذا الحديث طرق أخر عن عقبة بن عامر منها
مارواه الترمذى من حديث صالح بن كيسان عن رجل عنه وروى الإمام أحمد وأهل السنن عنه قال : قال رسول الله
ﷺ « ارموا واركبوا وأن ترموا خير من أن تركبوا » وقال الإمام مالك عن زيد بن أسلم عن أبي صالح
السمان عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « الخيل لثلاثة ، لرجل أجر ، ولرجل ستر وعلى
رجل وزر فأما الذى له أجر فرجل رباطها فى سبيل الله فأطال لها فى مرج أو روضة فما أصابت فى طيلها ذلك
من المرج أو الروضة كانت له حسنات ولو أنها قطعت طيلها فاستتت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات
له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقى به كان ذلك حسنات له فهى لتلك الرجل أجر ، ورجل
ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله فى رقابها ولا ظهورها فهى له ستر ، ورجل رباطها فخرا ورياء ونواء فهى على
ذلك وزر » وسئل رسول الله ﷺ عن الحر فقال « ما أنزل الله على فيها شيئا إلا هذه الآية الجامعة الفاذة (فمن
يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره) » رواه البخارى وهذا لفظه ومسلم كلاهما من حديث
مالك وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج أخبرنا شريك عن الركين بن الربيع عن القاسم بن حسان عن عبد الله بن
مسعود عن النبي ﷺ قال « الخيل لثلاثة : ففرس للرحمن ، وفرس للشيطان ، وفرس للانسان ، فأما فرس الرحمن
فالذى يربط فى سبيل الله فعلفه وروته وبوله - وذكر ما شاء الله - وأما فرس الشيطان فالذى يقامر أو يراهن عليها ،
وأما فرس الانسان فالفرس يربطها الانسان يلتمس بطنها فهى له ستر من الفقر » وقد ذهب أكثر العلماء إلى
أن الرمي أفضل من ركوب الخيل ، وذهب الإمام مالك إلى أن الركوب أفضل من الرمي ، وقول الجمهور أقوى للحديث
والله أعلم وقال الإمام أحمد : حدثنا حجاج وهشام قالا : حدثنا ليث حدثني يزيد بن أبي حبيب عن ابن شماس أن معاوية
ابن خديج مر على أبي ذر وهو قائم عند فرس له فسأله ما تعانى من فرسك هذا ؟ فقال إني أظن أن هذا الفرس قد استجيب له
دعوته . قال وما دعاء بهيمة من البهائم ، قال والذى نفسى بيده ما من فرس إلا وهو يدعو كل سحر فيقول : اللهم أنت
خولتني عبدا من عبادك وجعلت رزقي بيده فاجعلني أحب إليه من أهله وماله وولده . قال وحدثنا يحيى بن سعيد عن
عبد الحميد بن أبي جعفر حدثني يزيد بن أبي حبيب عن سويد بن قيس عن معاوية بن خديج عن أبي ذر رضى الله عنه
قال : قال رسول الله ﷺ « إنه ليس من فرس عربى إلا يؤذن له مع كل فجر يدعو بدعوتين يقول اللهم إنك خولتني
(١) مشى الفرس على قراءة ولا تحسبن بالتاء .

من خولتي من بي آدم فاجعلني من أحب أهله وماله إليه - أو - أحب أهله وماله إليه » رواه النسائي عن عمرو بن علي الفلاس عن يحيى القطان به . وقال أبو القاسم الطبراني حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا هشام بن عمار حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا الطعم بن المقدم الصنعاني عن الحسن بن أبي الحسن أنه قال لابن الحنظلية يعني سهلا حدثنا حديثنا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة وأهلها معانون عليها ومن ربط فرساً في سبيل الله كانت النفقة عليه كالماد يده بالصدقة لا يقبضها » والأحاديث الواردة في فضل ارتباط الخيل كثيرة . وفي صحيح البخاري عن عروة بن أبي الجعد البارقي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة الأجر والمغرم » : وقوله (ترهبون) أي تخوفون (به عدوا لله وعدوكم) أي من الكفار (وآخرين من دونهم) قال مجاهد يعني بني قريظة ، وقال السدي : فارس ، وقال سفيان الثوري قال ابن يمان هم الشياطين التي في الدور ، وقد ورد حديث بمثل ذلك . قال ابن أبي حاتم حدثنا أبو عتبة أحمد بن الفرغ الحمصي حدثنا أبو حيوه يعني شريح بن يزيد القرقي حدثنا سعيد بن مسنان عن ابن غريب يعني يزيد بن عبد الله بن غريب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ كان يقول في قول الله تعالى (وآخرين من دونهم لاتهمونهم) قال هم الجن ورواه الطبراني عن إبراهيم بن دحيم عن أبيه عن محمد بن شعيب عن سنان بن سعيد بن سنان عن يزيد بن عبد الله بن غريب به وزاد : قال رسول الله ﷺ « لا ينجل بيت فيه عتيق من الخيل » وهذا الحديث منكر لا يصح إسناده ولا متنه ، وقال مقاتل بن حيان وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم هم المنافقون وهذا أشبه الأقوال ويشهد له قوله تعالى (ومن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم) وقوله (وماتفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون) أي مهما أنفقتم في الجهاد فإنه يوفى إليكم على التمام والكمال ، ولهذا جاء في الحديث الذي رواه أبو داود أن الدرهم يضاعف ثوابه في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف كما تقدم في قوله تعالى (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبئت سبع سنابل في كل سنبله مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) وقال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن القاسم بن عطية حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي حدثنا أبي عن أبيه حدثنا الأشعث بن إسحق عن جعفر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كان يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام حتى نزات (وماتفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم) فأمر بالصدقة بعدها على كل من سأل من كل دين وهذا أيضا غريب

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيْدَكَ بِبِضْرِهِ الْمُؤْمِنِينَ * وَالْأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْقَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

يقول تعالى إذا خفت من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء فإن استمروا على حربك ومنابدتك فقاتلهم (وإن جنحوا) أي مالوا (للسلام) أي السالمة والمصالحة والمهادنة (فاجنح لها) أي قل لها واقبل منهم ذلك ، ولهذا لما طلب المشركون عام الحديبية الصلح ووضع الحرب بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع سنين أجاهم إلى ذلك مع ما اشترطوا من الشروط الأخر . وقال عبد الله ابن الإمام أحمد حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثني فضيل ابن سلمان يعني النخعي حدثنا محمد بن أبي يحيى عن إياس بن عمرو الأسلمي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إنه سيكون اختلاف أو أمر فإن استعظت أن يكون السلم فافعل » وقال مجاهد نزلت في بني قريظة وهذا فيه نظر لأن السياق كله في وقعة بدر وذكرها مكتنف لهذا كله ، وقال ابن عباس ومجاهد وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني وعكرمة والحسن وقتادة : إن هذه الآية منسوخة بآية السيف في راءة (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا

باليوم الآخر) الآية وفيه نظر أيضاً لأن آية براءة فيها الأمر بقتالهم إذا أمكن ذلك فأما إن كان العدو كشيئا فإنه يجوز مهادنتهم كما دلت عليه هذه الآية الكريمة وكما فعل النبي ﷺ يوم الحديبية فلا منافاة ولا نسخ ولا تخصيص والله أعلم . وقوله (وتوكل على الله) أى صالحهم وتوكل على الله فإن الله كافيك وناصرك ولو كانوا يريدون بالصلح خديعة ليتقوا ويستعدوا (فإن حسبك الله) أى كافيك وحده ثم ذكر نعمته عليه بما أيد به من المؤمنين المهاجرين والأنصار فقال (هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم) أى جمعها على الإيمان بك وعلى طاعتك ومناصرتك وموازرتك (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) أى لما كان بينهم من العداوة والبغضاء فإن الأنصار كانت بينهم حروب كثيرة فى الجاهلية بين الأوس والخزرج وأمور يلزم منها التسلسل فى الشر حتى قطع الله ذلك بنور الإيمان كما قال تعالى (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ، كذلك يبين لكم آياته لعلكم تهتدون) وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خطب الأنصار فى شأن غنائم حنين قال لهم « يا معشر الأنصار ألم أجدكم صلالا فهداكم الله لى وعالة فأغناكم الله لى وكنتم متفرقين فألفكم الله لى » كلا قال شيئا قالوا الله ورسوله آمن ، ولهذا قال تعالى (ولكن الله ألفت بينهم إناه عزيز حكيم) أى عزيز الجنب فلا يغيب رجاء من توكل عليه حكيم فى أفعاله وأحكامه ، وقال الحافظ أبو بكر البيهقى أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنبأنا على بن بشر الصيرفى القزوينى فى منزلنا أنبأنا أبو عبد الله محمد ابن الحسين القنديلى الاسترأبادى حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن النعمان الصفار حدثنا ميمون بن الحكم حدثنا بكر ابن الشروذ عن محمد بن مسلم الطائفى عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عن ابن عباس قال قرابة الرحم تقطع ومنة النعمة تكفر ولم ير مثل تقارب القلوب يقول الله تعالى (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) وذلك موجود

فى الشعر إذا بت ذو قرى لىك بزلة * فغشك واستغنى فليس بندى رحم
ولكن ذا القربى الذى إن دعوته * أجاب وأن يرمى العدو الذى ترمى

قال ومن ذلك قول القائل :

ولقد صحبت الناس ثم سبرتهم * وبلوت ما وصلوا من الأسباب
فإذا القرابة لا تقرب قاطعا * وإذا المودة أقرب الأسباب

قال البيهقى لا أدرى هذا موصول بكلام ابن عباس أو هو من قول من دونه من الرواة ، وقال أبو إسحق السبيعى عن أبى الأحوص عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه سمعه يقول (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) الآية قال هم المتحابون فى الله . وفى رواية نزلت فى المتحابين فى الله . رواه النسائى والحاكم فى مستدركه وقال صحيح وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال : إن الرحم لتقطع ، وإن النعمة لتكفر وإن الله إذا قارب بين القلوب لم يزحزحها شىء ثم قرأ (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) رواه الحاكم أيضاً ، وقال أبو عمرو الأوزاعى حدثنى عبدة بن أبى لبابة عن مجاهد ولقيته فأخذ يبدى فقال : إذا التقى المتحابان فى الله فأخذ أحدهما بيد صاحبه وضحك إليه تحانت خطاياهما كما تحات ورق الشجر . قال عبدة : فقلت له إن هذا ليسير فقال : لا تقل ذلك فإن الله يقول (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم) قال عبدة فعرفت أنه أفقه منى وقال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا ابن يمان عن إبراهيم الجزرى عن الوليد بن أبى مغيث عن مجاهد قال إذا التقى المسلمان فتصافحا غفر لهما ، قال قلت لمجاهد بمصافحة يغير لهما ؟ قال مجاهد أما سمعته يقول (لو أنفقت مافى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألفت بينهم) فقال الوليد لمجاهد أنت أعلم منى وكذا روى طلحة بن مصرف عن مجاهد ، وقال ابن عون عن عمير بن إسحق قال : كنا نتحدث أن أول ما يرفع من الناس الالفة وقال الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى رحمه الله حدثنا الحسين بن إسحق التستري حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا سالم بن غيلان سمعت جمدا أبا عثمان حدثنى أبو عثمان النهدى عن سلمان الفارسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن المسلم إذا لقي

أخاه المسلم فأخذ بيده تحاتت عنهما ذنوبهما كما تحات الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف وإلا غفر لهما ذنوبهما ولو كانت مثل زبد البحار»

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ * أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾

يحرص تعالى نبيه ﷺ والمؤمنين على القتال ومناجزة الأعداء ومبارزة الأقران ويخبرهم أنه حسبهم أي كافهم وناصرهم ومؤيدهم على عدوهم وإن كثرت أعدادهم وتزادفت أمدادهم ، ولو قل عدد المؤمنين . قال ابن أبي حاتم حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم حدثنا عبيد الله بن موسى أنبأنا سفيان عن ابن شوذب عن الشعبي في قوله (يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين) قال حسبك الله وحسب من شهد معك قال وروى عن عطاء الخراساني وعبد الرحمن ابن زيد مثله ، ولهذا قال (يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال) أي حثهم وذمهم عليه ولهذا كان رسول الله ﷺ يحرص على القتال عند صفهم ومواجهة العدو كما قال لأصحابه يوم بدر حين أقبل المشركون في عددهم وعددهم « قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض » فقال عمير بن الحمام عرضها السموات والأرض ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم » فقال بيخ بيخ فقال « ما يحملك على فولك بيخ بيخ ؟ » قال رجاء أن أكون من أهلها قال « فإنك من أهلها » فقدم الرجل فكسر جفن سيفه وأخرج عمرات فجعل يأكل منهن ثم ألقى بقيتين من يده وقال: لئن أنا حييت حتى آكلهن إنها حياة طويلة ثم تقدم فقاتل حتى قتل رضى الله عنه ، وقد روى عن سعيد بن المسيب وسعيد بن جبير أن هذه الآية نزلت حين أسلم عمر بن الخطاب وكمل به الأربعون ، وفي هذا نظر لأن هذه الآية مدينة وإسلام عمر كان يمكة بعد الهجرة إلى أرض الحبشة وقبل الهجرة إلى المدينة والله أعلم . ثم قال تعالى مبشرا للمؤمنين وآمرا (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا) كل واحد بعشرة ثم نسخ هذا الأمر وبقيت البشارة . قال عبد الله بن المبارك حدثنا جرير بن حازم حدثني الزبير بن الحرث عن عكرمة عن ابن عباس قال : لما نزلت (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) شق ذلك على المسلمين حين فرض الله عليهم أن لا يفر واحد من عشرة ثم جاء التخفيف فقال (الآن خفف الله عنكم) إلى قوله (يغلبوا مائتين) قال خفف الله عنهم من العدة ونقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم . وروى البخارى من حديث ابن المبارك نحوه . وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار عن ابن عباس في هذه الآية قال : كتب عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم خفف الله عنهم فقال (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) فلا ينبغي لمائة أن يفروا من مائتين ، وروى البخارى عن علي ابن عبد الله عن سفيان به نحوه ، وقال محمد بن إسحق حدثني ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال لما نزلت هذه الآية ثقل على المسلمين وأعظموا أن يقاتل عشرون مائتين ومائة ألفا فخفف الله عنهم فنسخها بالآية الأخرى فقال (الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا) الآية فكانوا إذا كانوا على الشطر من عدوهم يسخ لهم أن يفروا من عدوهم ، وإذا كانوا دون ذلك لم يجب عليهم قتالهم وجاهلهم أن يتحوزوا عنهم ، وروى على بن أبي طلحة والوعوفى عن ابن عباس نحو ذلك قال ابن أبي حاتم وروى عن مجاهد وعطاء وعكرمة والحسن وزيد بن أسلم وعطاء الخراساني والضحاك وغيرهم نحو ذلك وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث المسيب بن شريك عن ابن عون عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما في قوله (إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين) قال نزلت فينا أصحاب محمد ﷺ ، وروى الحاكم

في مستدرکه من حديث أبي عمرو بن العلاء عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ (الآن خفف الله عنكم
وعلم أن فيكم ضعفا) رفع ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه

﴿ مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يَدْخُلَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ
وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * لَوْ لَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا
طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾

قال الإمام أحمد حدثنا علي بن هاشم عن حميد عن أنس رضي الله عنه قال استشار النبي صلى الله عليه وسلم الناس
في الأسارى يوم بدر فقال « إن الله قد أمكنكم منهم » فقال عمر بن الخطاب فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض
عنه النبي ﷺ ثم عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا أيها الناس إن الله قد أمكنكم منهم وإمامهم
إخوانكم بالأسس » فقال عمر فقال يا رسول الله اضرب أعناقهم فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد النبي ﷺ فقال للناس مثل ذلك
فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء قال فذهب عن وجه
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان فيه من النعم فعفا عنهم وقبل منهم الفداء قال وأنزل الله عز وجل (لولا كتاب
من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) وقد سبق في أول السورة حديث ابن عباس في صحيح مسلم بنحو ذلك
وقال الأعمش عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال لما كان يوم بدر قال رسول الله ﷺ « ماتقولون
في هؤلاء الأسارى ؟ » فقال أبو بكر يا رسول الله قومك وأهلك استبقهم واستبتهم لعل الله أن يتوب عليهم ،
وقال عمر يا رسول الله كذبوك وأخرجوك فقدمهم فاضرب أعناقهم ، وقال عبد الله بن رواحة يا رسول الله أنت
في واد كثير الحطب فاضرم الوادي عليهم ناراً ثم ألقهم فيه قال فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد عليهم
شيئاً ثم قام فدخل فقال ناس يأخذ بقول أبي بكر وقال ناس يأخذ بقول عبد الله بن رواحة
ثم خرج عليهم رسول الله ﷺ فقال « إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من اللبن وإن الله ليشدد
قلوب رجال فيه حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم عليه السلام قال (فمن تبعني فإنه مني
ومن عصاني فإنه إنك غفور رحيم) وإن مثلك يا أبا بكر كمثل عيسى عليه السلام قال (إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر
لهم فإنك أنت العزيز الحكيم) وإن مثلك يا عمر كمثل موسى عليه السلام قال (ربنا اطمس على أموالهم واشدد على
قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم) وإن مثلك يا عمر كمثل نوح عليه السلام قال (رب لا تذر على الأرض من
الكافرين دياراً) أتم عالة فلا ينفسكن أحد منهم إلا بفداء أو ضربة عنق » قال ابن مسعود قلت يا رسول الله إلا سهيل
ابن بيضاء فإنه يذكر الإسلام فسكت رسول الله ﷺ فما رأيتني في يوم أخوف من أن تقع على حجارة من السماء
مني في ذلك اليوم حتى قال رسول الله ﷺ « إلا سهيل بن بيضاء » فأنزل الله عز وجل (ما كان لنبى أن يكون له أسرى)
إلى آخر الآية رواه الإمام أحمد والترمذي من حديث أبي معاوية عن الأعمش به والحاكم في مستدرکه ، وقال صحيح
الإسناد ولم يخرجاه ، وروى الحافظ أبو بكر بن مردويه عن عبد الله بن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي
ﷺ نحوه . وفي الباب عن أبي أيوب الأنصاري وروى ابن مردويه أيضا واللفظ له والحاكم في مستدرکه من حديث
عبيد الله بن موسى حدثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عمر قال لما أسر الأسارى يوم
بدر أسر العباس فيمن أسره . أسره رجل من الأنصار ، قال وقد أوعده الأنصار أن يقتلوه فبلغ ذلك النبي ﷺ
فقال رسول الله ﷺ « إني لم أتم الليلة من أجل عمى العباس وقد زعمت الأنصار أنهم قاتلوه » فقال له عمر أفتأثمهم
فقال « نعم » فأتى عمر الأنصار فقال لهم أرسلوا العباس فقالوا لا والله لا نرسله فقال لهم عمر فان كان لرسول الله
صلى الله عليه وسلم رضي قالوا فان كان لرسول الله ﷺ رضي فخذنه فأخذنه عمر فلما صار في يده قال له يا عباس

أسلم فوالله لأن تسلّم أحب إلى من أن يسلم الخطاب وما ذاك إلا لما رأيت رسول الله ﷺ يعجبه إسلامك قال واستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر فيهم فقال أبو بكر عشرينك فأرسلهم فاستشار عمر فقال اقتلهم ففاداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) الآية قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وقال سفيان الثوري عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن عبيدة عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل إلى النبي ﷺ يوم بدر فقال خير أصحابك في الأسارى إن شاءوا الفداء وإن شاءوا القتل طى أن يقتل عاما مقبلا منهم مثلهم قالوا الفداء ويقتل منا رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الثوري به ، وهذا حديث غريب جدا ، وقال ابن عون عن عبيدة عن علي قال : قال رسول الله ﷺ في أسارى يوم بدر « إن شئتم قتلنهم وإن شئتم فاديتهمهم واستمتعتم بالفداء واستشهد منكم بعدتهم » قال فكان آخر السبعين ثابت بن قيس قتل يوم اليمامة رضي الله عنه ، ومنهم من روى هذا الحديث عن عبيدة مرسلًا فالله أعلم وقال محمد بن إسحاق عن ابن أبي نجیح عن عطاء عن ابن عباس (ما كان لنبي أن يكون له أسرى) فقرأ حتى بلغ عذاب عظيم . قال غنائم بدر قبل أن يحلها لهم يقول لولائي لأعذب من عصاني حتى أتقدم إليه لمسك فيما أخذتم عذاب عظيم ، وكذا روى ابن أبي نجیح عن مجاهد وقال الأعمش سبق منه أن لا يعذب أحدا شهيد بدرا وروى نحوه عن سعد بن أبي وقاص وسعيد بن جبیر وعطاء ، وقال شعبة عن أبي هاشم عن مجاهد (لولا كتاب من الله سبق) أي لهم بالمغفرة ونحوه عن سفيان الثوري رحمه الله ، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله (لولا كتاب من الله سبق) يعني في أم الكتاب الأول أن المغنم والأسارى حلال لكم (مسك فيما أخذتم) من الأسارى (عذاب عظيم) قال الله تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) الآية . وكذا روى العوفي عن ابن عباس ، وروى مثله عن أبي هريرة وابن مسعود وسعيد بن جبیر وعطاء والحسن البصري وقتادة والأعمش أيضا أن المراد (لولا كتاب من الله سبق) لهذه الأمة باحلال الغنائم وهو اختيار ابن جرير رحمه الله ، ويستشهد لهذا القول بما أخرجاه في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة » وقال الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لم تحل الغنائم لسود الرؤس غيرنا » ولهذا قال تعالى (فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا) الآية فعند ذلك أخذوا من الأسارى الفداء ، وقد روى الإمام أبو داود في سننه حدثنا عبد الرحمن بن المبارك العبسي حدثنا سفيان بن حبيب حدثنا شعبة عن أبي العنيس عن أبي الشعثاء عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ جعل فداء أهل الجاهلية يوم بدر أربعائة ، وقد استمر الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء أن الإمام خير فيهم إن شاء قتل كما فعل بنو قريظة ، وإن شاء فادى بما لكافعل بأسرى بدر ، أو بمن أسر من المسلمين كما فعل رسول الله ﷺ في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع حيث ردها وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين ، وإن شاء استرق من أسر . هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء ، وفي المسألة خلاف آخر بين الأئمة مقرر في موضعه من كتب الفقه

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَن فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ حَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾

قال محمد بن إسحاق حدثني العباس بن عبد الله بن مغفل عن بعض أهله عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال يوم بدر « إني قد عرفت أن أناسا من بني هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرها لاجابة لهم بقتالنا فن لقي منكم أحدا منهم - أي من بني هاشم - فلا يقتله ، ومن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرها » فقال أبو حذيفة بن عتبة أقتل آباءنا وأبناءنا وإخواننا

وعشائرنا وتترك العباس والله لئن لقيته لأجلننه بالسيف فبلغت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لعمر بن الخطاب « يا أبا حفص - قال عمر والله إنه لأول يوم كنانى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا حفص - أ يضرب وجه عم رسول الله - ﷺ - بالسيف؟ » فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه فوالله لقد نافق ، فكان أبو حذيفة يقول بعد ذلك والله ما آمن من تلك الكلمة التي قلت ولا أزال منها خائفا إلا أن يكفرها الله تعالى عني بشهادة ، فقتل يوم النجامة شهيدا رضى الله عنه . وبه عن ابن عباس قال لما أمسى رسول الله ﷺ يوم بدر والأسارى محبوسون بالوثاق بات رسول الله ﷺ ساهراً أول الليل فقال له أصحابه يا رسول الله مالك لا تنام ؟ وقد أسر العباس رجل من الأنصار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ممعت أنين عمى العباس في وثاقه فأطلقوه » فسكت فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال محمد بن إسحق وكان أكثر الأسارى يوم بدر فداء العباس بن عبد المطلب وذلك أنه كان رجلا موسرا فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهبا ، وفي صحيح البخارى من حديث موسى بن عقبة قال ابن شهاب حدثنا أنس بن مالك أن رجلا من الأنصار قالوا يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه . قال « لا والله لا تذررون منه درهما » وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحق عن يزيد بن رومان عن عروة عن الزهرى عن جماعة مما هم قالوا بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا ، وقال العباس يا رسول الله قد كنت مسلما فقال رسول الله ﷺ « الله أعلم بإسلامك فان يكن كما تقول فان الله يجزيك وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتد نفسك وابنى أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب ، وحليفك عتبة بن عمرو أخى بنى الحارث بن فهر » قال ما ذاك عندي يا رسول الله قال « فأين المال الذى دفنته أنت وأم الفضل ؟ فقلت لها إن أصبت فى سفرى هذا ، فهذا المال الذى دفنته لبنى الفضل وعبد الله وقتم » قال والله يا رسول الله إنى لأعلم أنك رسول الله إن هذا لشيء ما علمه أحد غيرى وغير أم الفضل فأحسب لى يا رسول الله ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان معى فقال رسول الله ﷺ « لا ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك » ففدى نفسه وابنى أخويه وحليفه فأنزل الله عز وجل فيه (يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويفخر لكم والله غفور رحيم) قال العباس فأعطانى الله مكان العشرين الأوقية فى الإسلام عشرين عبدا كلهم فى يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل ، وقد روى ابن إسحق أيضا عن ابن أبي نجیح عن عطاء عن ابن عباس فى هذه الآية بنحو مما تقدم . وقال أبو جعفر بن حرير حدثنا ابن وكيع حدثنا ابن إدريس عن ابن أبي نجیح عن مجاهد عن ابن عباس قال : قال العباس فى نزلت (ما كان لنبى أن يكون له أسرى حتى يشخن فى الأرض) فأخبرت النبى ﷺ بإسلامى وسألته أن يحاسبنى بالعشرين الأوقية التى أخذت منى فأبى فأبدلنى الله بها عشرين عبدا كلهم تاجر مالى فى يده ، وقال ابن إسحق أيضا حدثنى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما عن جابر بن عبد الله بن رباب قال كان العباس بن عبد المطلب يقول فى نزلت والله حين ذكرت لرسول الله ﷺ إسلامى ثم ذكر نحو الحديث كالتى قبله . وقال ابن جريج عن عطاء الخراسانى عن ابن عباس (يا أيها النبي قل لمن فى أيديكم من الأسرى) عباس وأصحابه قال: قالوا للنبى ﷺ آمنا بما جئت به ونشهد أنك رسول الله لننصحن لك على قومنا . فأنزل الله (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) إيماننا وتصديقا يخلف لكم خيرا مما أخذ منكم (ويفخر لكم) الشرك الذى كنتم عليه قال فكان العباس يقول ما أحب أن هذه الآية لم تنزل فىنا وإن لى الدنيا لقد قال (يؤتكم خيرا مما أخذ منكم) فقد أعطانى خيرا مما أخذ منى مائة ضعف وقال (ويفخر لكم) وأرجو أن يكون قد غفر لى ، وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس فى هذه الآية كان العباس أسر يوم بدر فافتدى نفسه بأربعين أوقية من ذهب فقال العباس حين قرئت هذه الآية لقد أعطانى الله عز وجل خصلتين ما أحب أن لى بهما الدنيا : لى أسرت يوم بدر ففديت نفسى بأربعين أوقية فأتانى أربعين عبدا وإنى لأرجو المغفرة التى وعدنا الله عز وجل فقال قتادة فى تفسير هذه الآية ذكر لنا أن رسول الله ﷺ

لما قدم عليه مال البحرين ثمانون ألفا وقد توشأ لصلاة الظهر فما أعطى يومئذ شاكيا ولا حرم سائلا وما صلى يومئذ حتى فرقه ، فأمر العباس أن يأخذ منه ويحسب فكان العباس يقول : هذا خير مما أخذ منا وأرجو المغفرة وقال يعقوب بن سفيان حدثنا عمرو بن عاصم حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال بعث ابن الحضرمي إلى رسول الله ﷺ من البحرين ثمانين ألفا ما أتاه مال أكثر منه لا قبل ولا بعد . قال فنثرت على حصير ونودى بالصلاة . قال وجاء رسول الله ﷺ فقل قائما على المال وجاء أهل المسجد فما كان يومئذ عدد ولا وزن ما كان إلا فيضا وجاء العباس بن عبد المطلب فحشا في خميسة عليه وذهب يقوم فلم يستطع قال فرفع رأسه إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله : ارفع علي . قال فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى خرج ضاحكه أو نابه وقال له « أعدت من المال طائفة وقم بما تطيق » قال ففعل وجعل العباس يقول : وهو منطلق أما إحدى اللتين وعدنا الله فقد أنجزنا ، وما ندرى ما يصنع في الأخرى (يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى) الآية ثم قال هذا خير مما أخذنا وما أدرى ما يصنع الله في الأخرى فما زال رسول الله ﷺ مائلا على ذلك المال حتى ما بقى منه درهم وما بعث إلى أهله بدرهم ثم أتى الصلاة فصلى .

(حديث آخر في ذلك) قال الحافظ أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبد الله الحافظ . أخبرني أبو الطيب محمد بن محمد بن عبد الله السعدي حدثنا محمد بن عصام حدثنا حفص بن عبد الله حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك قال أتى رسول الله ﷺ بمال من البحرين فقال « انثروه في مسجدي » قال وكان أكثر مال أتى به رسول الله ﷺ فخرج إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه إذ جاءه العباس فقال يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي ، وفاديت عقيلًا فقال له رسول الله ﷺ « خذ » فحشا في ثوبه ثم ذهب يقله فلم يستطع فقال مر بعضهم يرفعه إلى قال « لا » قال فارفعه أنت علي قال « لا » فنثر منه ثم احتمله على كاهله ثم انطلق فما زال رسول الله ﷺ يتبعه بصره حتى خفى عنه عجبًا من حرصه فما قام رسول الله ﷺ وشم منها درهم ، وقد رواه البخاري في مواضع من صحيحه تعليقا بصيغة الجزم يقول : وقال إبراهيم بن طهمان ويسوقه وفي السياقات أتم من هذا

وقوله (وإن يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل) أي (وإن يريدوا خيانتك) فيما أظهموا لك من الأقوال (فقد خانوا الله من قبل) أي من قبل بدر بالكفر به (فأمكن منهم) أي بالأسارى يوم بدر (والله عليم حكيم) أي علم بفعله حكيم فيه . قال قتادة نزلت في عبد الله بن سعد بن أبي سرح الكاتب حين ارتد ولحق بالمشركين وقال ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس نزلت في عباس وأصحابه حين قالوا لنصحن لك على قومنا وفسرها السدي على العموم وهو أشمل وأظهر والله أعلم .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِّنْ وَلِيَّتِهِم مِّنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

ذكر تعالى أصناف المؤمنين وقسمهم إلى مهاجرين خرجوا من ديارهم وأموالهم وجاءوا لنصر الله ورسوله وإقامة دينه وبنلوا أموالهم وأنفسهم في ذلك ، وإلى أنصارهم المسلمون من أهل المدينة إذ ذاك آووا إخوانهم المهاجرين في منازلهم وواسوهم في أموالهم ونصروا الله ورسوله بالقتال معهم فهؤلاء (بعضهم أولياء بعض) أي كل منهم أحق بالآخر من كل أحد ، ولهذا آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار كل اثنين أخوان فكانوا يتوارثون بذلك إرثا مقدما على القرابة حتى نسخ الله تعالى ذلك بالمواريث . ثبت ذلك في صحيح البخاري عن ابن عباس ، ورواه

العوفى وطى بن أبى طلحة عنه ، وقال مجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد : قال الإمام أحمد حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبى وائل عن جرير هو ابن عبد الله البجلي رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض ، والطلاقاء من قريش والعنقاء من تعيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة » تفرد به أحمد . وقال الحافظ أبو يعلى حدثنا سفيان حدثنا عكرمة يعنى ابن إبراهيم الأزدى حدثنا عاصم عن شقيق عن ابن مسعود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول « المهاجرون والأنصار ، والطلاقاء من قريش والعنقاء من تعيف بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة » هكذا رواه في مسند عبد الله بن مسعود . وقد أثنى الله ورسوله على المهاجرين والأنصار في غير ما آية في كتابه فقال (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار) الآية وقال (لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة) الآية وقال تعالى (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون * والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الآية وأحسن ما قيل في قوله (ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا) أى لا يحسدونهم على فضل ما أعطاهم الله على هجرتهم فإن ظاهر الآيات تقديم المهاجرين على الأنصار ، وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء لا يختلفون في ذلك ، ولهذا قال الإمام أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار في مسنده حدثنا محمد بن معمر حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب عن حذيفة قال : خيرنى رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت الهجرة ثم قال لانعرفه إلا من هذا الوجه وقوله تعالى (والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم) قرأ حمزة ولايتهم بالكسر والباقون بالفتح وهما واحد كاللذلة والدلالة (من شيء حتى يهاجروا) هذا هو الصنف الثالث من المؤمنين وهم الذين آمنوا ولم يهاجروا بل أقاموا في بواديهم فهؤلاء ليس لهم في الغنائم نصيب ، ولا في خمسها إلا ما حضروا فيه القتال كما قال أحمد حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه عن يزيد بن الحبيب الأسدى رضى الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ إذا بعث أميراً على سرية أو جيش أو صاه في خاصة نفسه بتقوى الله وبعث معه من المسلمين خيراً ، وقال « اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله إذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى إحدى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهم ما أجابوك إليها فاقبل منهم ، وكف عنهم . ادعهم إلى الاسلام فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم . ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين وأعلمهم إن فعلوا ذلك أن لهم مال المهاجرين وأن عليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا واختاروا دارهم فأعلمهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم فى الفئء والغنيمة نصيب إلا أن يجاهدوا مع المسلمين فإنهم أبوا فادعهم إلى إعطاء الجزية . فإن أجابوا فاقبل منهم وكف عنهم فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلهم » انفرد به مسلم وعنده زيادات أخر وقوله (وإن استنصروكم فى الدين فعليكم النصر) الآية يقول تعالى وإن استنصركم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا فى قتال دىنى على عدولهم فانصروهم فإنه واجب عليكم نصرهم لأنهم إخوانكم فى الدين إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق أى مهادنة الى مدة فلا تخفروا ذمتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم وهذا مروى عن ابن عباس رضى الله عنه

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴾

لما ذكر تعالى أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض قطع الموالاة بينهم وبين الكفار كما قال الحاكم فى مستدركه حدثنا محمد بن صالح بن هانىء حدثنا أبو سعيد يحيى بن منصور الهروى حدثنا محمد بن أبان حدثنا محمد بن زيد وسفيان بن حسين عن الزهرى عن على بن الحسين عن عمرو بن عثمان عن أسامة عن النبي ﷺ قال « لا توارث أهل

ملتين ولا يرث مسلم كافرًا ولا كافر مسلمًا - ثم قرأ - (والذين كفروا أولياء بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) ثم قال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه . قلت الحديث في الصحيحين من رواية أسامة بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ « لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم » وفي المسند والسنن من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا يوارث أهل ملتين شتى » وقال الترمذي حسن صحيح وقال أبو جعفر بن جرير حدثنا محمد عن معمر عن الزهري أن رسول الله ﷺ أخذ على رجل دخل في الإسلام فقال « تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان ، وإنك لا ترى نار مشرك إلا وأنت له حرب » وهذا مرسل من هذا الوجه وقد روى متصلًا من وجه آخر عن رسول الله ﷺ أنه قال « أنا بريء من كل مسلم بين ظهرائي المشركين » ثم قال « لا يترامى نارهما » وقال أبو داود في آخر كتاب الجهاد حدثنا محمد ابن داود بن سفيان أخبرني يحيى بن حسان أن أبا سليمان بن موسى أبو داود حدثنا جعفر بن سعيد بن سمرة بن جندب عن سمرة بن جندب : أما بعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله » وذكر الحافظ أبو بكر بن مردويه من حديث حاتم بن إسماعيل عن عبد الله بن هرمز عن محمد وسعيد ابني عبيد عن أبي حاتم الزنى قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض » قالوا يا رسول الله وإن كان (١) فيه قال : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه » ثلاث مرات وأخرجه أبو داود والترمذي من حديث حاتم بن إسماعيل به بنحوه ثم روى من حديث عبد الحميد بن سليمان عن ابن عجلان عن أبي وثيمة النضري عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير » أى إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين والإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل

﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوْا وَنَصَرُوا أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾

لما ذكر تعالى حكم المؤمنين في الدنيا عطف بذكر ما لهم في الآخرة فأخبر عنهم بحقيقة الإيمان كما تقدم في أول السورة وأنه سبحانه سيجازيهم بالمغفرة والصفح عن الذنوب ان كانت ، وبالرزق الكريم وهو الحسن الكثير الطيب الشريف دائم مستمر أبدا لا ينقطع ولا ينقضى ولا يسأم ولا يمل لحسنه وتنوعه . ثم ذكر أن الأتباع لهم في الدنيا على ما كانوا عليه من الإيمان والعمل الصالح فهم معهم في الآخرة كما قال (والسابقون الأولون) الآية وقال (والذين جاءوا من بعدهم) الآية . وفي الحديث المتفق عليه بل المتواتر من طرق صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « المرء مع من أحب » وفي الحديث الآخر « من أحب قوما فهو منهم » وفي رواية « حشر معهم » . وقال الإمام أحمد : حدثنا وكيع عن شريك عن عاصم عن أبي وائل عن جرير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « المهاجرون والأنصار بعضهم أولياء بعض ، والطلاقاء من قريش والعقلاء من ثقيف بعضهم أولياء بعض إلى يوم القيامة » قال شريك فحدثنا الأعمش عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال عن جرير عن النبي ﷺ مثله تفرد به أحمد من هذين الوجهين . وأما قوله تعالى (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله) أى في حكم الله وليس المراد بقوله (وأولوا الأرحام) خصوصية ما يطلقه علماء الفرائض على القرابة الذين لا فرض لهم ولا هم عصبة بل يدلون بوارث كالحالة والحال والعمة وأولاد البنات وأولاد الأخوات ونحوهم كما قد يزعمه بعضهم ويحتج بالآية ويعتقد ذلك صريحا في المسألة بل الحق

(١) في النسخة الأميرية ياض بعد لفظ كان وليس فيها لفظ فيه

أن الآية عامة تشمل جميع القرابات كما نص عليه ابن عباس ومجاهد وعكرمة والحسن وقتادة وغير واحد على أنها ناسخة للارث بالحلف والاخاء اللذين كانوا يتوارثون بهما أولاً ، وعلى هذا فتشمل ذوى الارحام بالاسم الخاص ، ومن لم يورثهم يحتاج بأدلة من أقواها حديث « إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث » قالوا فلو كان ذا حق لكان ذا فرض في كتاب الله مسمى فلما لم يكن كذلك لم يكن وارثاً والله أعلم

آخر تفسير سورة الأنفال والله الحمد والمنة وعليه الكلان وهو حبسنا ونعم الوكيل

(تفسير سورة التوبة مدنية)

﴿ بَرَاءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْبُدُوا أَنفُسَكُمْ غَيْرَ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ ﴾

هذه السورة الكريمة من أواخر ما نزل على رسول الله ﷺ كما قال البخارى حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة عن أبي إسحق قال سمعت البراء يقول آخر آية نزلت (يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة) وآخر سورة نزلت براءة ، وإنما لم يبسم في أولها لأن الصحابة لم يكتبوا بالبسملة في أولها في المصحف الإمام بل اقتدوا في ذلك بأمر المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وأرضاه كما قال الترمذى حدثنا محمد بن بشار حدثنا يحيى بن سعيد ومحمد ابن أبي جعفر وابن أبي عدى وسهيل بن يوسف قالوا حدثنا عوف بن أبى جميلة أخبرني يزيد الفارسى أخبرني ابن عباس قال قلت لعثمان بن عفان ما حملكم أن عمدتم إلى الأنفال وهى من المثاني وإلى براءة وهى من المثين وقرتم بينهما ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتموها في السبع الطول ما حملكم على ذلك فقال عثمان كان رسول الله ﷺ مما يأتى عليه الزمان وهو تنزل عليه السور ذوات العدد فكان إذا نزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا وكانت الأنفال من أول ما نزل بالمدينة وكانت براءة من آخر ما نزل من القرآن وكانت قصتها شبيهة بقصتها وخشيت أنها منها وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين لنا أنها مناهن أجل ذلك قرنت بينهما ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم ووضعتها في السبع الطول وكذا رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه والحاكم في مستدركه من طرق آخر عن عوف الأعرابي به وقال الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه وأول هذه السورة الكريمة نزل على رسول الله ﷺ لما رجع من غزوة تبوك وهم بالحج ثم ذكر أن المشركين يحضرون عامهم هذا الموسم على عاداتهم في ذلك وأنهم يطوفون بالبيت عراة فكرم مخالطتهم وبعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه أميراً على الحج تلك السنة ليقم للناس مناسكهم ويعلم المشركين أن لا يحجوا بعد عامهم هذا وأن ينادى في الناس (براءة من الله ورسوله) فلما قفل أتبعه بعلى بن أبى طالب ليكون مبلغاً عن رسول الله ﷺ لكونه عصبه له كما سيأتى بيانه فقوله تعالى (براءة من الله ورسوله) أى هذه براءة أى تبرؤ من الله ورسوله (إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) اختلف المفسرون ههنا اختلافاً كثيراً فقال قائلون هذه الآية لدوى العهود المطلقة غير المؤقتة أو من له عهد دون أربعة أشهر فيكمل له أربعة أشهر فأما من كان له عهد مؤقت فأجله إلى مدته مهما كان لقوله تعالى (فأتوا إليهم عهدهم إلى مدتهم) الآية ولما سيأتى في الحديث . ومن كان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد فعهدته إلى مدته وهذا أحسن الأقوال وأقواها ، وقد اختاره ابن جرير رحمه الله وروى عن الكلبى ومحمد بن كعب القرظى وغير واحد . وقال على ابن أبى طلحة عن ابن عباس في قوله (براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر) الآية قال حد الله للذين عاهدوا رسوله أربعة أشهر يسيحون في الأرض حيث شاءوا وأجل من أجل من ليس عهد انسلخ الأشهر الحرم من يوم النحر إلى سلخ المحرم فذلك خمسون ليلة فأمر الله نبيه إذا انسلخ المحرم